

الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ، وقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ترهيب وترغيب أن حسابه وعقابه سريع ، فيمن عصاه وخالف رسله ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن والاه واتبع رسله فيما جاءوا به من خبر وطلب . وقال محمد بن إسحاق : ليرحم العباد على ما فيهم ، رواه ابن أبي حاتم ، وكثيراً ما يقرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين ، كقوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ﴾ وإن ربك لشديد العقاب ﴿وقوله﴾ نبيء عبادي أئي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب ، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه ، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالتها وعذابها والقيامة وأهوالها ، وتارة بها لينجع في كل يحسه ، جعلنا الله عن أطاعوا فيما أمر ، وترك ما عنه نهي وزجر ، وصدقه فيما أخبر ، إنه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا زهير عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ، أن رسول الله ﷺ قال «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قط أحد من الجنة ، خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون» ورواه الترمذي عن قتبية عن عبد العزيز الدراوردي عن العلاء ، وقال حسن ، ورواه مسلم ، عن يحيى بن يحيى وقتبية وعلي بن حجر ، ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء وعنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي» وعنه أيضاً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه» رواه مسلم - آخر تفسير سورة الأنعام ، والله الحمد والمنة .



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَعْصُومِ ﴿١﴾ كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صُدْرِكَ حَرَجٌ مِمَّنْ لِنُذِيرِهِ ﴿٢﴾ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

قد تقدم الكلام في أول سورة البقرة على ما يتعلق بالحروف وبسطه واختلاف الناس فيه ، قال ابن جرير : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا أبي عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس ﴿المعصوم﴾ أنا الله أفضل ، وكذا قال سعيد بن جبير ﴿كتاب أنزل إليك﴾ أي هذا كتاب أنزل إليك أي من ربك ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ قال مجاهد وقتادة والسدي : شك منه ، وقيل لا تتحرج به في إبلاغه والإنذار به ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ ولهذا قال ﴿لنتذر به﴾ أي أنزلناه إليك لتتذر به الكافرين ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ ثم قال تعالى مخاطباً للعالم ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي اقتضوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه ﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ أي لا تحرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره ، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره ﴿قليلًا ما تذكرون﴾ كقوله ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ وقوله ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ الآية وقوله ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ .

وَكَمْ مِنْ قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿١﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْضُنَّ عَلَيْهِمْ بِعَلَمِ رَبِّنَا مَا كَانُوا غَائِبِينَ ﴿٧﴾

يقول الله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي بمخالفة رسلنا وتكذيبهم ، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولاً بذلك الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزِءَ بِرِسْلِ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وكقوله ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مَعْظَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾ وقال تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ وقوله ﴿فَجَاءَهَا بِأَسْنًا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ أي فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته بياتاً أي ليلاً ، أو هم قائلون من القبلولة وهي الاستراحة وسط النهار . وكلا الوقتين وقت غفلة وهو ، كما قال ﴿أَفَأَمَّنْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنًا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ \* أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلمعون﴾ وقال ﴿أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ فِي نَوْمٍ أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرْؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ . وقوله ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي فما كان قولهم عند مجيء العذاب ، إلا أن اعترفوا بذنوبهم وأنهم حقيقون بهذا ، كقوله تعالى : ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً - إِلَى قَوْلِهِ - خَامِدِينَ﴾ قال ابن جرير : في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ من قوله ﴿ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم﴾ ، حدثنا بذلك ابن حميد ، حدثنا جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزرادي ، قال : قال عبد الله بن مسعود ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم﴾ ، قال : قلت لعبد الملك كيف يكون ذلك ؟ قال : فقرأ هذه الآية ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ . وقوله ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية كقوله ﴿ويوم يتادبهم فيقول ماذا أجبت المرسلين﴾ وقوله ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ فيسأل الله الأمم يوم القيامة عما أجابوا رسله فيها أرسلهم به ، ويسأل الرسل أيضاً عن إبلاغ رسالاته ، ولهذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال عما بلغوا .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن ، حدثنا أبو سعيد الكندي ، حدثنا المحاربي عن ليث عن نافع عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام يسأل عن رعيته والرجل يسأل عن أهله والمرأة تسأل عن بيت زوجها والعبد يسأل عن مال سيده﴾ قال الليث : وحدثني ابن طائوس مثله ، ثم قرأ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة ، وقال ابن عباس في قوله ﴿فلنقص عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون ﴿وما كنا غائبين﴾ يعني أنه تعالى يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا من قليل وكثير وجليل وحقير ، لأنه تعالى الشهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يغفل عن شيء بل هو العالم بخاتمة الأعين وما تخفي الصدور ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ .

وَالْوِزْنُ يُمِيدُ الْحَقَّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسِهِمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

يقول تعالى : ﴿والوزن﴾ أي للأعمال يوم القيامة ﴿الحق﴾ أي لا يظلم تعالى أحداً كقوله ﴿وتضع الموازين والقسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ وقال تعالى : ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ وقال تعالى : ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأما هاهوية \* وما أدراك ما هية \* نار حامية﴾ وقال تعالى : ﴿فإذا نفع في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ \* ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾ .

[فصل] والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قبل الأعمال وإن كانت أعراضاً إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساماً ، قال البغوي : يروى نحو هذا عن ابن عباس ، كما جاء في الصحيح من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف . ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون فيقول : من أنت ؟ فيقول أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظلمات نهارك . وفي حديث البراء في قصة سؤال القبر ﴿يأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح فيقول : من أنت ؟ فيقول أنا عمك الصالح﴾ ، وذكر عكسه في شأن

الكافر والمنافق ، وقيل يوزن كتاب الأعمال كما جاء في حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ، ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا إله إلا الله فيقول يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول الله تعالى إنك لا تعلم . فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان ، قال رسول الله ﷺ «فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه ، وقيل يوزن صاحب العمل كما في الحديث «يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة» ثم قرأ ﴿فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ ؛ وفي مناقب عبد الله بن مسعود : أن النبي ﷺ قال «أتعجبون من دقة ساقبه والذي نفسي بيده لها في الميزان أثقل من أحد» وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً ؛ فتارة توزن الأعمال وتارة توزن معالها وتارة يوزن فاعلها ، والله أعلم .

وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى : ممتناً على عبده فيما مكن لهم ، من أنه جعل الأرض قراراً وجعل فيها رواسي وأنهاراً ، وجعل لهم فيها منازل وبيوتاً وأبواباً لهم منافعها ، وسخر لهم السحاب لإخراج أرزاقهم منها ، وجعل لهم فيها معاش أي مكاسب وأسباباً يكسبون بها ويتجرون فيها ويتسبون أنواع الأسباب وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك كقوله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ وقد قرأ الجميع معاش بلا همز إلا عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، فإنه همزها والصواب الذي عليه الأكثرون بلا همز ؛ لأن معاش جمع معيشة من عاش يعيش عيشاً ومعيشة أصلها معيشة ، فاستثقلت الكسرة على الياء فنقلت إلى العين فصارت معيشة ، فلما جمعت رجعت الحركة إلى الياء لزوال الاستثقال ، فقليل معاش ووزنه مفاعل ، لأن الياء أصلية في الكلمة بخلاف مدائن وصحائف وبيصائر ، جمع مدينة وصحيفة وبيصرة من مدن وصحف وأبصر ، فإن الياء فيها زائدة ، ولهذا تجمع على فعائل وتهمز لذلك ، والله أعلم .

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَرَىٰ كَيْفَ يَنْسِفُ مِنَ السَّجْدِ ﴿١٠٢﴾

بنيه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم ، وبين لهم عداوة عدوهم إبليس ، وما هو منطوق عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه ، فقال تعالى : ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ وهذا كقوله تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين لا صلصال من حمأ مسنون \* فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ وذلك أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب وصوره بشراً سوياً ونفخ فيه من روحه ، أمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لشأن الله تعالى وجلاله ، فسمعوا كلهم وأطاعوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ، وقد تقدم الكلام على إبليس في أول تفسير سورة البقرة ، وهذا الذي قررناه هو اختيار ابن جرير ، أن المراد بذلك كله آدم عليه السلام .

وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن منبهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ قال خلقوا في أصلاب الرجال وصوروا في أرحام النساء ، رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجه ، ونقل ابن جرير : عن بعض السلف أيضاً أن المراد بخلقناكم ثم صورناكم الذرية .

وقال الربيع بن أنس والسدي وقتادة والضحاك في هذه الآية ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ أي خلقنا آدم ثم صورنا الذرية ، وهذا فيه نظر ، لأنه قال بعد ذلك ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فدل على أن المراد بذلك آدم وإنما قيل ذلك بالجمع ، لأنه أبو البشر ، كما يقوله الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ والمراد أبائهم الذين كانوا في زمن موسى ، ولكن لما كان ذلك منه على الأبناء الذين هم أصل ، صار كأنه واقع على الأبناء ، وهذا بخلاف قوله ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ الآية ؛ فإن المراد منه آدم المخلوق من السلالة ، وذريته مخلوقون من نطفة ، وصح هذا لأن المراد من خلقنا الإنسان الجنس لا معنا ، والله أعلم .

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ خَلْقِنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٠٣﴾

قال بعض النحاة في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تُسْجِدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ لا هنا زائدة ، وقال بعضهم زيدت لتأكيد الجحد ، كقول الشاعر :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثلها

فأدخل «إن» وهي للنفي على ما النافية لتأكيد النفي ، قالوا : وكذا هنا ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تُسْجِدَ﴾ مع تقدم قوله ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ حكاهما ابن جرير وردهما ؛ واختار أن منعك مضمن معنى فعل آخر ، تقديره ما أخرجك وأزمتك واضطرك أن لا تسجد إذ أمرتك ونحو هذا ، وهذا القول قوي حسن ، والله أعلم . وقول إبليس لعنه الله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ من العذر الذي هو أكبر من الذنب ، كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول ، يعني لعنه الله وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له ؟ ثم بين أنه خير منه بأنه خلق من نار ، والنار أشرف مما خلقته منه وهو الطين ، فنظر اللعين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف العظيم ، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده وفتح فيه من روحه ، وقاس قياساً فاسداً في مقابلة نص قوله تعالى : ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ فشذ من بين الملائكة لتترك السجود فلهذا أبلس من الرحمة أي أوبس من الرحمة فأخطأ ، قبحه الله في قياسه ، ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضاً ، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والنشيت ، والطين يحمل النبات والنمو والزيادة والإصلاح ، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة ، ولهذا خان إبليس عنصره ونفع آدم عنصره بالرجوع والإجابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَرَجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ» هكذا رواه مسلم ، وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ «خُلِقَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورِ الْعَرْشِ وَخُلِقَ الْجَانُ مِنْ مَرَجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ» قلت لنعيم بن حماد : أين سمعت هذا من عبد الرزاق ؟ قال : باليمن ، وفي بعض ألفاظ هذا الحديث في غير الصحيح «وخلقت الحور العين من الزعفران» ؛ وقال ابن جرير : حدثنا القاسم حدثنا الحسين ، حدثنا محمد بن كثير عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن الحسن في قوله ﴿خُلِقْتَنِي مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ قال : قاس إبليس وهو أول من قاس ، إسناده صحيح ، وقال : حدثني عمر بن مالك ، حدثني يحيى بن سليم الطائفي عن هشام عن ابن سيرين ، قال : أول من قاس إبليس ، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس إسناده صحيح أيضاً .

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ

### الْمَنْظُرِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى مخاطباً لإبليس بأمر قدرتي كوني ﴿فاهبط منها﴾ أي بسبب عصيانك لأمري وخرجك عن طاعتي فما يكون لك أن تتكبر فيها ، قال كثير من المفسرين : الضمير عائد إلى الجنة ويحتمل أن يكون عائداً إلى المنزل التي هو فيها في الملكوت الأعلى ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ أي الدليلين الحقيرين ، معاملة له بنقيض قصده ومكافأة لمراده بضده ، فعند ذلك استدرك اللعين وسأل النظرة إلى يوم الدين ، قال ﴿أنظرنني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين﴾ أجابه تعالى إلى ما سأل ، لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تحالف ولا تمنع ، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ

### أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾

يغير تعالى أنه لما أئذر إبليس ﴿إلى يوم يبعثون﴾ واستوتق إبليس بذلك ، أخذ في المعاندة والتمرد ، فقال ﴿فبما آغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أي كما آغويتني ، قال ابن عباس : كما أضللتني ، وقال غيره : كما أهلكتني لأقعدن لعبادك الذين تخلفهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه على ﴿صراطك المستقيم﴾ أي طريق الحق وسبيل النجاة ، ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي ، وقال بعض النحاة : الباء هنا قسمية كأنه يقول فبأغوائك

إياي لأقعدن ثم صراطك المستقيم ، قال مجاهد : صراطك المستقيم يعني الحق ، وقال محمد بن سوقة عن عون بن عبد الله : يعني طريق مكة ، قال ابن جرير : الصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك ، (قلت) لما روى الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو عقيل يعني الثقفى عبد الله بن عقيل ، حدثنا موسى بن المسيب ، أخبرني سالم بن أبي الجعد ، عن سبرة بن أبي الفاكه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه ففعد له بطريق الإسلام ، فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك قال فعصاه وأسلم قال «وقعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسياك وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول ، فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال ، فقال تقاتل فتقتل فتكبح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وجاهد» .

قال رسول الله ﷺ «فمن فعل ذلك منهم فمات ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة» وقوله «ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم» الآية ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس «ثم لا تينهم من بين أيديهم» أشككهم في آخرتهم «ومن خلفهم» أرغبهم في دنياهم «وعن أيمانهم» أشبه عليهم أمر دينهم «وعن شمائلهم» أشبه لهم المعاصي ، وقال ابن أبي طلحة في رواية العوفي كلاهما عن ابن عباس : أما من بين أيديهم فمن قبل دنياهم ، وأما من خلفهم فأمر آخرتهم ! ، وأما عن أيمانهم فمن قبل حسناتهم ، وأما عن شمائلهم فمن قبل سيئاتهم ؛ وقال سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة ، أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ، ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها ، وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها ، وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها ، أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك ، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله ؛ وكذا روي عن إبراهيم النخعي والحكم بن عيينة والسدي وابن جرير ، إلا أنهم قالوا : من بين أيديهم الدنيا ، ومن خلفهم الآخرة .

وقال مجاهد : من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ، ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ؛ واختار ابن جرير : أن المراد جمع طرق الخير والشر ، فالخير يصددهم عنه والشر يحسنه لهم ؛ وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله «ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم» ولم يقل من فوقهم ، لأن الرحمة تنزل من فوقهم ؛ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس «ولا تحمد أكثرهم شاكرين» قال : موحدين ، وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم ، وقد وافق في هذا الواقع ، كما قال تعالى : «ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين» وما كان له عليهم من سلطان إلا لتعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ» ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها ، كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا نصر بن علي ، حدثنا عمرو بن مجمع ، عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم يعني نافع بن جبير ، عن ابن عباس ، وحدثنا عمر بن الخطاب يعني السجستاني ، حدثنا عبيد الله بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة ، عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ يدعو «اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وأمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بك اللهم أن أغتال من تحتي» تفرد به البزار وحسنه . . . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبادة بن مسلم الفزاري ، حدثني جرير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، سمعت عبد الله بن عمر يقول : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وأمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» ؛ قال وكيع : من تحتي يعني الخسف ؛ ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم ، وقال الحاكم صحيح الإسناد .

قال الخرج مِمَّا مَدَّءُ بِمَا مَدَّحُورًا لَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ لَا مَلَانَ حَهْمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ

أكد تعالى عليه اللعنة والطرود والإبعاد والنفي عن محل الملا الأعلى ، بقوله «أخرج منها مذءوما مدحوراً» قال ابن جرير : أما المذءوم فهو المغييب ، والذام غير مشدد المغييب يقال ذامه ذاماً فهو مذءوم ، ويتركون الهمزة فيقول ذمته

أذيمه ذميماً وذاماً ، والذام والذيم أبلغ في العيب من الذم ، قال : والمدحور المقصي ، هو المبعد المطرود ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما نعرف المذموم والمذموم إلا واحداً ؛ وقال سفيان الثوري : عن أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس : أخرج منها مذموماً مدحوراً قال مقيتا ؛ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : صغيراً مقيتاً وقال السدي : مقيتاً مطروداً ؛ وقال قتادة : لعيناً مقيتاً ، وقال مجاهد : منقياً مطروداً وقال الربيع بن أنس : مذموماً منقياً والمدحور المصفر . وقوله تعالى : ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ كقوله ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً \* إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا .

وَيَتَادَمُّ اسْتَكُنُّنَّ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّسَ

لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لُهُمَا مَا يورِي عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مِنَ الْمَكِينِ أَوْتَكُونَا

مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَمَّالٌ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾

يذكر تعالى أنه أباح لآدم عليه السلام ولزوجته حواء الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة ، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة ، فعند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ، ليسلبها ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن (وقال) كذبا وافتراء ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مِنَ الْمَكِينِ ﴾ أي لثلا تكونا ملكين أو خالدين هاهنا ، ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلكما ، كقوله ﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُوءُ ﴾ أي لثلا تكونا ملكين ، كقوله ﴿ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُوا ﴾ أي لثلا تضلوا ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ يُعَيِّدَ بِكُمْ ﴾ أي لثلا تعيد بكم ، وكان ابن عباس ويحيى بن أبي كثير يقرآن ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مِنَ الْمَكِينِ ﴾ بكسر اللام ، وقرأه الجمهور بفتحها ؛ ﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ أي حلف لها بالله ﴿ إِنِّي لَكَمَّالٌ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ فإني من قبلكما ها هنا وأعلم بهذا المكان ، وهذا من باب المفاعلة ، والمراد أحد الطرفين ، كما قال خالد بن زهير ابن عم أبي ذؤيب :

وقاسمهم بالله جهدا لأنتم ألسذ من السلوى إذ ما نشورها

أي حلف لها بالله على ذلك حتى خدعها وقد يجدهم المؤمن بالله ، وقال قتادة في الآية ، حلف بالله إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكم فاتبعان أرتدكما ، وكان بعض أهل العلم يقول من خدعنا بالله انخدعنا له .

فَدَلَّهِمَا يَفْرِغُونَ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا

عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَنَا تَتَوَفَّرْنَا وَرَرَحْمَتَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾

قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال : كان آدم رجلاً طويلاً كأنه نخلة سحق ، كثير شعر الرأس ، فلما وقع فيها وقع فيه من الخطيئة ، بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها ، فانطلق هارباً في الجنة فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة ، فقال لها : أرسليني ، فقالت : إني غير مرسلتك ؛ فناداه ربه عز وجل يا آدم أمني تفر؟ قال يارب إني استحييتك ، وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق ، عن الحسن عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ مرفوعاً ، والموقوف أصح إسناداً ، وقال عبد الرزاق : أنبأنا سفيان بن عيينة وابن المبارك ، أنبأنا الحسن بن عمار ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة ، فلما أكلتا منها بدت لها سواتهما ، وكان الذي وارى عنها سواتهما أظفارهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ورق التين يلزقان بعضه إلى بعض ، فانطلق آدم عليه السلام مولياً في الجنة ، فعلمت برأسه شجرة من الجنة ، فناداه الله يا آدم أمني تفر؟ قال لا ولكني استحييتك يا رب ، قال : أما كان لك فيها منحك من الجنة وأباحتك منها مندوحة عما حرمت عليك ، قال : بلى يا رب ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يخلف بك كاذباً ، قال : وهو قول الله عز

وجل ﴿وقاسمها إني لكما لمن الناصحين﴾ قال : فبجزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدأ ، قال : فاهبط من الجنة وكانا يأكلان منها رغداً ، فاهبط إلى غير رغد من طعام وشراب ؛ فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث ، فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ، ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزته ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ .

وقال الثوري : عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿وظفقا بخصفان عليها من ورق الجنة﴾ قال : ورق التين صحيح إليه ، وقال مجاهد : جملاً بخصفان عليها من ورق الجنة ، قال : كهية الثوب ، وقال وهب بن منبه في قوله يتزع عنها لباسها ، قال : كان لباس آدم وحواء نوراً على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا ، فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سواتهما ، رواه ابن جرير بسند صحيح إليه ، وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن قتادة ، قال : قال آدم أي رب أرأيت إن تبت واستغفرت ، قال : إذا أدخلك الجنة ، وأما إبليس فلم يسأله التوبة وسأله النظرة ، فأعطى كل واحد منهما الذي سأله ، وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفیان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؛ قال : لما أكل آدم من الشجرة ، قيل له : لم أكلت من الشجرة التي نبتك عنها ؟ قال : حواء أمرتني ، قال : فإني قد أعقبتها لا أنحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كرهاً ، قال : فرنت عند ذلك حواء ، فقيل لها الرنة عليك وعلى ولدك ، وقال الضحاک بن مزاحم في قوله ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه .

قَالَ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَرَبُّهَا

تُخْرِجُوكُمْ ﴿١٥﴾

قيل المراد بالخطاب في ﴿اهبطوا﴾ آدم وحواء وإبليس والحية ، ومنهم من لم يذكر الحية ، والله أعلم ؛ والعمدة في العداوة آدم وإبليس ، ولهذا قال تعالى في سورة طه قال ﴿اهبطا منها جميعاً﴾ الآية ، وحواء تبع لأدم ، والحية إن كان ذكرها صحيحاً فهي تبع لإبليس ، وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسراتيليات ، والله أعلم بصحتها ، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم ، لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ ؛ وقوله ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ أي قرار وأعمار مضمرة إلى آجال معلومة ، قد جرى بها القلم وأحصاها القدر وسطرت في الكتاب الأول ، وقال ابن عباس ﴿مستقر﴾ القبور ، وعنه قال ﴿مستقر﴾ فوق الأرض وتحتها ، رواهما ابن أبي حاتم ، وقوله ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ كقوله تعالى : ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ بغير تعالى ، أنه جعل الأرض داراً لبني آدم مدة الحياة الدنيا ، فيها عياشهم وفيها مماتهم وقبورهم ومنها نشورهم ليوم القيامة ، الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويجازي كلا بعمله .

يَسْتَبِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّقُ سَوَاءَ تَكْمُومٌ وَرِدْشًا وَلِبَاسَ الثَّقَوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِمَّا آتَيْنَا اللَّهُ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٦﴾

يستن تعالي على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش ، فاللباس ستر العورات وهي السوات ، والريش الريش ما يتجمل به ظاهراً ، فالأول من الضروريات والريش من التكملات والزيادات ، قال ابن جرير : الريش في كلام العرب الأثاث وما ظهر من الثياب ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحكاة البخاري عنه : الريش المال ، وهكذا قال مجاهد وعروة بن الزبير والسدي والضحاك وغير واحد ، وقال العوفي عن ابن عباس : الريش اللباس والعيش والنسيم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الريش الجمال ، وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا أصبغ عن أبي العلاء الشامي ، قال : لبس أبو أمامة ثوباً جديداً فلما بلغ ترقوته قال : الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتني وأتجمل به في حياتي ، ثم قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ ومن استجد ثوباً قلبسه فقال حين يبلغ ترقوته : الحمد لله الذي كساني ما أوارني به عورتني وأتجمل به في حياتي ، ثم عمد إلى الثوب الخلق فتصدق به كان في

ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حياً وميتاً» ورواه الترمذي وابن ماجه من رواية يزيد بن هارون ، عن أصبغ هو ابن زيد الجهني ، وقد وثقه يحيى بن معين وغيره ، وشيخه أبو العلاء الشامي لا يعرف إلا بهذا الحديث ، ولكن لم يخرجوه أحد ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا مختار بن نافع التمار عن أبي مطر ، أنه رأى علياً رضي الله عنه أتى غلاماً حدثاً فاشتري منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرسغين إلى الكعبين ، يقول حين لبسه : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما تجمل به في الناس وأواري به عورتني ، فقبل هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي ﷺ ، قال : هذا شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول عند الكسوة : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما تجمل به في الناس وأواري به عورتني» ورواه الإمام أحمد ؛ وقوله تعالى : ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ قرأ بعضهم ولياس التقوى بالنصب ، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء ، وذلك خير خبره ، واختلف المفسرون في معناه ، فقال عكرمة : يقال هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة ، رواه ابن أبي حاتم ؛ وقال زيد بن علي والسدي وقتادة وابن جريج : ولياس التقوى الإيمان ، وقال العوفي عن ابن عباس : العمل الصالح ؛ قال الديال عن عمرو عن ابن عباس : هو السميت الحسن في الوجه ؛ وعن عروة بن الزبير : لباس التقوى خشية الله ؛ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ولباس التقوى يتقي الله فيواري عورته فذاك لباس التقوى ؛ وكلها متقاربة ، ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه ابن جرير حيث قال : حدثني المثنى حدثنا إسحاق بن الحجاج ، حدثني إسحاق بن إسماعيل عن سليمان بن أرقم عن الحسن ، قال : رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص فوهي محلول الزر ، وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام ، ثم قال : يا أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر ، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول «والذي نفس محمد بيده ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها علانية ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر» ثم قرأ هذه الآية ﴿وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾ ذلك من آيات الله ﷻ قال : السميت الحسن ، هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن أرقم ، وفيه ضعف ؛ وقد روى الأئمة الشافعي وأحمد والبخاري في كتاب الأدب من طرق صحيحة عن الحسن البصري ، أنه سمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام يوم الجمعة على المنبر ، وأما المرفوع منه فقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير له شاهداً من وجه آخر حيث قال حدثنا .

يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَائِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَتَزَعُّنَّ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَيْمَامًا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

يخدر تعالى بني آدم من إبليس وقبيله ، مبيئاً لهم عداوته القديمة لأبي البشر آدم عليه السلام ، في سعيه في إخراجه من الجنة التي هي دار النعم إلى دار التعب والعناء ، والتسبب في هتك عورته بعد ما كانت مستورة عنه ، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة ، وهذا كقوله تعالى : ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

قال مجاهد : كان المشركون يطوفون بالبيت عراة يقولون تطوف كما ولدتنا أمهاتنا فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشيء وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله  
فأنزل الله ﴿وإذا فعلوا فحشة قالوا وجدنا عليها آياتنا والله أمرنا بها﴾ ، قلت : كانت العرب ما عدا قريشاً لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها ، وكانت قريش وهم

الخمس يطوفون في ثيابهم ، ومن أعاره أحسي ثوباً طاف فيه ، ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه فلا يتملكه أحد ، ومن لم يجد ثوباً جديداً ، ولا أعاره أحسي ثوباً طاف عريانا ، وربما كانت امرأة تطوف عريانة فتجعل على فرجها شيئاً ليستره بعض الستر فتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وأكثر ما كان النساء يظفن عراة بالليل ، وكان هذا شيئاً قد ابتدعه من تلقاء أنفسهم واتبعوا فيه آباءهم ؛ ويعتقدون أن فعل آباؤهم مستند إلى أمر من الله وشرع ، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك ، فقال ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا ﴾ فقال تعالى رداً عليهم ﴿ قُلْ ﴾ أي يا محمد لمن ادعى ذلك ﴿ إِنْ أَلَّاهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ أي هذا الذي تصنونه فاحشة منكرة ، والله لا يأمر بمثل ذلك ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي أتستندون إلى الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته ؛ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمْرِي بِالْقَسْطِ ﴾ أي بالعدل والاستقامة في عبادته في محالها وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات ، فيما أخبروا به عن الله وما جاءوا به من الشرائع وبالإخلاص له في عبادته ، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين ، أن يكون صواباً موافقاً للشرعية وأن يكون خالصاً من الشرك .

وقوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ الضَّلَالَةَ ﴾ اختلف في معنى قوله ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ فقال ابن أبي نجیح : عن مجاهد ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ يعيكم بعد موتكم ، وقال الحسن البصري : كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء ، وقال قتادة ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ قال : بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئاً ثم ذهبوا ثم يعيدهم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كما بدأكم أولاً كذلك يعيدكم آخراً ، واختار هذا القول أبو جعفر بن جرير ، وأيده بما رواه من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، كلاهما عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال « يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق ، نعیده وعداً عيننا إنا كنا فاعلين » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث شعبة ، وفي حديث البخاري أيضاً من حديث الثوري ؛ وقال ورقاء بن إياس أبو يزيد عن مجاهد ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ قال يبعث المسلم مسلماً والكافر كافراً وقال أبو العالية ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ردوا إلى علمه فيهم وقال سعيد بن جبیر كما بدأكم تعودون كما كتب عليكم تكونون ، وفي رواية كما كنتم عليه تكونون ، وقال محمد بن كعب القرظي : في قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ من ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه وإن عمل بأعمال أهل السعادة ، ومن ابتداء خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه عليه وإن عمل بأعمال أهل الشقاء ، كما أن السحرة عملوا بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا إلى ما ابتدؤا عليه ، وقال السدي ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةَ ﴾ يقول ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ كما خلقناكم فريقاً مهتدون وفريقاً ضلالاً ، كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : قوله ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةَ ﴾ قال : إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً ، كما قال ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا ﴾ ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً : قلت : ويتأيد هذا القول بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري « فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » . وقال أبو القاسم البقوي : حدثنا علي بن الجعد ، حدثنا أبو غسان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « وإن العبد ليعمل فيما يرى الناس يعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنه ليعمل فيما يرى الناس يعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم » هذا قطعة من حديث البخاري من حديث أبي غسان محمد بن مطرف المدني في قصة قرمان يوم أحد ؛ وقال ابن جرير : حدثني ابن بشار حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر ، عن النبي ﷺ أنه قال « تبعث كل نفس على ما كانت عليه » وهذا الحديث رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه ، عن الأعمش ، ولفظه « يبعث كل عبد على ما مات عليه » وعن ابن عباس مثله ، قلت : ويتأيد بحديث ابن مسعود ، قلت : ولا بد من الجمع بين هذا القول إن كان هو المراد من الآية ، وبين قوله تعالى : ﴿ فَأَقْمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ وما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » .

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى « إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم » الحديث ، ووجه الجمع على هذا ، أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر في

ثاني الحال ، وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده والعلم بأنه لا إله غيره ، كما أخذ عليهم الميثاق بذلك وجعله في غرائزهم وفطرهم ومع هذا قدر ، أن منهم شقياً ومنهم سعيداً ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ وفي الحديث «كل الناس يفتدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» وقدر الله نافذ في برئته ، فإنه هو ﴿الذي قدر هدى﴾ و ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ وفي الصحيحين «فأما من كان منكم من أهل السعادة فيسير لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فيسير لعمل أهل الشقاوة» ولهذا قال تعالى : ﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة﴾ ثم علل ذلك فقال ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ الآية ؛ قال ابن جرير : وهذا من أبين الدلالة على خطأ من زعم أن الله لا يعذب أحداً على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها ، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عناداً منه لربه فيها ، لأنه لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يجب أنه مهتد ، وفريق الهدى فرق ، وقد فرق الله تعالى بين أسمائها وأحكامها في هذه الآية .

﴿يَبْقَىٰ آدَمُ خَدُوا زَيْتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

هذه الآية الكريمة رد على المشركين فيما كانوا يعتمدونه ، من الطواف بالبيت عراة كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير ، واللفظ له من حديث شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء ، الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وكانت المرأة تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فقال الله تعالى ﴿خذوا زيتكم عند كل مسجد﴾ وقال العوفي : عن ابن عباس في قوله ﴿خذوا زيتكم عند كل مسجد﴾ الآية ، قال : كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة ، والزينة اللباس وهو ما يوارى السوءة وما سوى ذلك من جيد البر والنتاح ، فأمروا أن يأخذوا زيتهم عند كل مسجد ، وهكذا قال مجاهد وعطاء وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقناة والسدي والضحاك ومالك ، عن الزهري وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها أنها نزلت في طواف المشركين بالبيت عراة ، وقد روى الحافظ بن مردويه من حديث سعيد بن بشير والأوزاعي ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعاً ، أنها نزلت في الصلاة في النعال ، ولكن في صحته نظر ، والله أعلم ، وهذه الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجميل عند الصلاة ، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد ، والطيب لأنه من الزينة والسواك لأنه من تمام ذلك .

ومن أفضل اللباس البياض كما قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير وصححه عن ابن عباس مرفوعاً ، قال : قال رسول الله ﷺ «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم وإن خير أحوالكم الإثم فإنه يجلو البصر وينبت الشعر» هذا حديث جيد الإسناد ، رجاله على شرط مسلم ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وللإمام أحمد أيضاً وأهل السنن بإسناد جيد ، عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ «عليكم بثياب البياض فالبسوها فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم» وروى الطبراني بسند صحيح عن قتادة عن محمد بن سيرين : أن تمياً الداري اشترى رداءً بألف وكان يصلي فيه ، وقوله تعالى ﴿وكلوا واشربوا﴾ الآية ، قال بعض السلف جمع الله الطب كله في نصف آية ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وقال البخاري قال ابن عباس : كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان صرف ومخيلة ؛ وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال : أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة ، إسناده صحيح ؛ وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رسول الله ﷺ قال «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف ، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده» ورواه النسائي وابن ماجه من حديث قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال «كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة» وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا سليمان بن سليم الكلبي ، حدثنا يحيى بن جابر الطائي سمعت المقدم بن معد يكرب الكندي ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فإن كان فاعلاً لا محالة ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» ورواه النسائي والترمذي من طرق عن يحيى بن جابر ، وقال الترمذي حسن ، وفي نسخة حسن صحيح .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا سويد بن عبد العزيز ، حدثنا بقرعة عن يوسف بن أبي كثير عن

نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من السرف أن تأكل كل ما اشتيت» ورواه الدارقطني في الأفراد ، وقال هذا حديث غريب تفرد به بقية ، وقال السدي : كان الذين يطوفون بالبيت عراة يجرمون عليهم الودك ما أقاموا في الموسم ، فقال الله تعالى لهم : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الآية ، يقول لا تسرفوا في التحريم ، وقال مجاهد : أمرهم أن يأكلوا ويشربوا بما رزقهم الله ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿ولا تسرفوا﴾ يقول : ولا تأكلوا حراماً ذلك الإسراف ، وقال عطاء الخراساني : عن ابن عباس قوله ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ إنه لا يجب المسرفين في الطعام والشراب ، وقال ابن جرير : وقوله ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُسْرِفِينَ﴾ يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ الْمُعْتَدِينَ﴾ حده في حلال أو سرام الغالين ، فيما أحل بإحلال الحرام أو بتحريم الحلال ، ولكنه يجب أن يحلل ما أحل ويحرم ما حرم وذلك العدل الذي أمر به .

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى رداً على من حرم شيئاً من المأكول أو المشرب أو الملابس من تلقاء نفسه من غير شرع من الله ﴿قل﴾ يا محمد هؤلاء المشركين ، الذين يجرمون ما يجرمون بأرائهم الفاسدة وابتداعهم ﴿من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ الآية ، أي هي مخلوقة لمن آمن بالله وعنده في الحياة الدنيا ، وإن شركهم فيها الكفار حبا في الدنيا فهي لهم خاصة يوم القيامة ، لا يشركهم فيها أحد من الكفار ، فإن الجنة محرمة على الكافرين ، قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين القاضي ، حدثنا يحيى الحماني ، حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون ، فأنزل الله ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ فأمروا بالثياب .

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا

عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «لا أحد أغبر من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله» أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود ، وتقدم الكلام على ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن في سورة الأنعام وقوله ﴿والإثم والبغي بغير الحق﴾ قال السدي : أما الإثم فالمعصية والبغي أن تبغي على الناس بغير الحق ، وقال مجاهد : الإثم المعاصي كلها وأخير أن الباغي بغيه على نفسه ، وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطايا المتعقبة بالفاعل نفسه ، والبغي هو التعدي إلى الناس فحرم الله هذا وهذا ، وقوله تعالى : ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي تجعلوا له شركاء في عبادته ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ من الإفتراء والكذب من دعوى أن له ولداً وحو ذلك مما لا علم لكم به ، كقوله ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ الآية .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَامًا يَا أَيُّهَا رَسُولُ اللَّهِ إِنَّكُمْ يَقْضُونَ

عَيْتَكُمْ أَيُّنِّي فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى : ﴿ولكل﴾ أمة أي قرن وجيل ﴿أجل﴾ فإذا جاء أجلهم ﴿أي بمقامهم المقدر لهم﴾ لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿ثم أنذر تعالى بني آدم أنه سيعت إليهم رسلاً يقصون عليهم آياته وبشر وحذر ، فقال ﴿فمن اتقى وأصلح﴾ أي ترك المحرمات وفعل الطاعات ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها﴾ أي كذبت بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ أي ماكنون فيها مكثاً مخلداً .

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ  
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

يقول ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته﴾ أي لا أحد أظلم ، ممن افترى الكذب على الله أو كذب بآياته المنزلة ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ اختلف المفسرون في معناه ، فقال العوفي عن ابن عباس : ينالهم ما كتب عليهم وكتب لمن كذب على الله أن وجهه مسود ، وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس يقول : نصيبهم من الأعمال من عمل خيراً جزي به ، ومن عمل شراً جزي به ، وقال مجاهد : ما وعدوا به من خير وشر ، وكذا قال قتادة والضحاك وغير واحد . واختاره ابن جرير .

وقال محمد بن كعب القرظي ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ قال : عمله ورزقه وعمره ، وكذا قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهذا القول قوي في المعنى ، والسياق يدل عليه وهو قوله ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ ونظير المعنى في هذه الآية كقوله ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ وقوله ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبيهم بما عملوا إن الله عليهم بذات الصدور غمغمهم قليلاً﴾ الآية ، وقوله ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ الآية ، يجيز تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم إلى النار يقولون لهم : أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدهونهم من دون الله ، ادعوهم يخلصوكم مما أنتم فيه قالوا ﴿ضلوا عنا﴾ أي ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم ولا خيرهم ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ أي أقروا واعترفوا على أنفسهم ﴿أنهم كانوا كافرين﴾ .

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا  
حِمِيمًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأَنْتُمْ رَبِّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾  
وَقَالَتْ أُولُنَّهُمْ لِأَخْرَبْتُمْ فَأَمَّا كَاتُ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى مخبراً عما يقوله هؤلاء المشركين به ، المفترين عليه المكذبين بآياته ﴿ادخلوا في أمم﴾ أي من أمثالكم وعلى صفاتكم ﴿قد خلت من قبلكم﴾ أي من الأمم السالفة الكافرة ﴿من الجن والإنس في النار﴾ يحتمل أن يكون بدلاً في قوله في أمم ويحتمل أن يكون في أمم أي مع أمم ، وقوله ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ كما قال الخليل عليه السلام ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراء منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ وقوله ﴿حتى إذا داركوا فيها جميعاً﴾ أي اجتمعوا فيها كلهم ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾ أي أخراهم دخولاً ، وهم الأتباع لأولاهم وهم المتبوعون ، لأنهم أشد جرمًا من أتباعهم فدخلوا قبلهم فيسكبهم الأتباع إلى الله يوم القيامة لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل فيقولون ﴿ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾ أي أضعف عليهم العقوبة كما قال تعالى : ﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا \* وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا \* ربنا آثم ضعفين من العذاب﴾ الآية ، وقوله ﴿قال لكل ضعف﴾ أي قد فعلنا ذلك وجازينا كلا بحسبه ، كقوله ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً﴾ الآية .

وقوله ﴿وليحملن أثقالمهم وأثقالا مع أثقالمهم﴾ وقوله ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ الآية ؛ وقالت أولاهم لأخراهم ﴿أي قال المتبوعون للأتباع﴾ ﴿فما كان لكم علينا من فضل﴾ قال السدي : فقد ضلنتم كما ضلنا ﴿فلوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ وهذه الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في حال عسرهم في قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين \* قال

الذين استكبروا للذين استضعفوا ونحن صدقناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين \* وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرنا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴿١٠﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿١١﴾ هُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مَهَادِّمْ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾

قوله ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ قيل المراد لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء ، قاله مجاهد وسعيد بن جبير ورواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وكذا رواه الثوري عن ليث عن عطاء عن ابن عباس ، وقيل المراد لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء ، رواه الضحاك عن ابن عباس ، وقاله السدي وغير واحد ، ويؤيده ما قاله ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر بن العياش عن الأعمش عن المنهال هو ابن عمرو ، عن زاذان عن البراء أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر ، وأنه يصعد بها إلى السماء فيصعدون بها ، فلا تمر على ملا من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون فلان بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون بابها له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ الآية ، هكذا رواه وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طريق عن المنهال بن عمرو .

وقد رواه الإمام أحمد بطوله فقال : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر وما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كان على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض ، فرفع رأسه فقال «استعيدوا بالله من عذاب القبر - مرتين أو ثلاثة ثم قال - إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان - قال - فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل ساء مقربوها إلى السماء التي نلتها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال : فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما عملك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فأممت به وصدقت ، فينادي متاد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة واقتحوه لبا بآ إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ، ويضج له في قبره مد البصر - قال - ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له : من أنت فوجهك الوجه الجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح فيقول : رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي - قال . وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له - ثم قرأ رسول الله ﷺ - ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه

طرحاً - ثم قرأ - ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان : ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تتخلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب متن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشعر ؟ فيقول : أنا عمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة . وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة فذكر نحوه وفيه حتى إذا خرج روحه صل عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء ، وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم ، وفي آخره ثم يقبض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً فيضربه ضربة فيصير تراباً ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصبح صبيحة يسمعا كل شيء إلا الثقلين ؛ قال البراء : ثم يفتح له باب من النار ويمهد له فرش من النار ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير واللفظ له من حديث محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقولون فلان فيقال مرحباً بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فيقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل ؛ وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقولون فلان فيقولون لا مرحباً بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنه لم يفتح لك أبواب السماء فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى القبر» .

وقد قال ابن جرير في قوله ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ لا تفتح لأعمالهم ولا لأرواحهم وهذا فيه جمع بين القولين ، والله أعلم ، وقوله تعالى ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ هكذا قرأه الجمهور وفسروه بأنه البعير قال ابن مسعود : هو الجمل ابن الناقة ، وفي رواية زوج الناقة وقال الحسن البصري : حتى يدخل البعير في خرق الإبرة وكذا قال أبو العالية والضحاك وكذا روى علي بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس ، وقال مجاهد وعكرمة عن ابن عباس : انه كان يقرؤها يلج الجمل في سم الخياط بضم الجيم وتشديد الميم يعني الجمل الغليظ في خرق الإبرة ؛ وهذا اختيار سعيد بن جبير ؛ وفي رواية أنه قرأ حتى يلج الجمل يعني قلوس السفن وهي الخبال الغلاظ ، وقوله ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ قال محمد بن كعب القرظي ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ قال الفرش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ قال اللخف وكذا قال الضحاك بن مزاحم والسدي ﴿وكذلك تجزي الظالمين﴾ .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَأْتِيَنَّهُمْ أَجْرُهُمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يُخَيِّرُ مِنْ نَجْمِهِمْ أَنْ يَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُونَ لَهُمُ الْحَدِيدُ الَّذِي هَدَّنا لَهُنَا هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَدَّبَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يُخَيِّرُ مِنْ نَجْمِهِمْ أَنْ يَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُونَ لَهُمُ الْحَدِيدُ الَّذِي هَدَّنا لَهُنَا هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَدَّبَّرُونَ ﴿٤٣﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر حال السعداء فقال ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي آمنت قلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم ضد ﴿إن الذين كفروا وآيات الله واستكبروا عنها﴾ تبه تعالى على أن الإيمان والعمل به سهل لأنه تعالى قال : ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ أي من حسد وبغض كما جاء في صحيح البخاري من حديث قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ إذا خلع المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتضت لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزلة في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا

وقال السدي في قوله ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار﴾ الآية ، إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوا من إحداهما فینزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعدها أبداً ، وقد روى أبو إسحاق عن عاصم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نحواً من هذا كما سيأتي في قوله تعالى : ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وقال قتادة : قال علي رضي الله عنه إنني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ رواه ابن جرير : وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة عن إسرائيل قال سمعت الحسن يقول قال علي : فينا والله أهل بدر نزلت ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ وروى النسائي وابن مردويه واللفظ له من حديث أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني فيكون له شكراً وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني فيكون له حسرة» ولهذا لما أورشوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ، أي بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وتبوأتم منازلکم بحسب أعمالکم . وإنما وجب الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال «واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة» قالوا ولا أنت يا رسول الله قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل» .

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾

يخبر تعالى بما يخاطب به أهل النار على التقرع والتوبيخ إذا استقروا في منازلهم ﴿أن قد وجدنا ما قد وعدنا ربنا حقاً﴾ أن ما هنا مفسرة للقول المحذوف وقد للتحقيق أي قالوا لهم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ قالوا نعم كما أخبر تعالى في سورة الصافات عن الذي كان له قرين من الكفار ﴿فاطلع قرأه في سواء الجحيم﴾ قال تالله إن كدت لتردين ﴿ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ أي نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعدنين ﴿أي ينكر عليه مقالته التي يقولها في الدنيا ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكال وكذلك تفرعهم الملائكة يقولون لهم ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون ﴿اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ وكذلك قرع رسول الله ﷺ قتل القلب يوم بدر فنادى ويا أبا جهل بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة - وسبي رؤوسهم - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ، وقال عمر : يا رسول الله تخاطب قوماً قد جيفوا ؟ فقال «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا» .

وقوله تعالى : ﴿فأذن مؤذن بينهم﴾ أي أعلم معلم ونادى مناد ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ أي مستقرة عليهم ثم وصفهم بقوله ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ويعتونها عوجاً﴾ أي يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء ويعتونها عوجاً حتى لا يتبعها أحد ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ أي وهم بلقاء الله في الدار الآخرة كافرون أي جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولا يؤمنون به فلهذا لا يباليون بما يأتون من منكر من القول والعمل لأنهم لا يخافون حساباً عليه ولا عقاباً فهم شر الناس أقوالاً وأعمالاً .

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لِيَدْخُلُواهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾

وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لِمَ جَعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع النار فيه أن بين الجنة والنار حجاباً وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة ، قال ابن جرير : وهو السور الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ وهو الأعراف الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وعلى الأعراف رجال ﴾ ثم روى بإسناده عن السدي أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وبينهما حجاب ﴾ وهو السور وهو الأعراف وقال مجاهد الأعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب ، قال ابن جرير : والأعراف جمع عرف وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً ، وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه . حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : الأعراف هو الشيء المشرف وقال الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال : الأعراف سور كهرف الديك ، وفي رواية عن ابن عباس : الأعراف جمع تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار ، وفي رواية عنه هو سور بين الجنة والنار ، وكذا قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير ، وقال السدي : إنما سمي الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس ، واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم ؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله ، وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن إسماعيل حدثنا عبيد بن الحسن حدثنا سليمان بن داود حدثنا النعمان بن عبد السلام حدثنا شيخ لنا يقال له أبو عباد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ عن استوت حسناته وسيئاته فقال « أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون » وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

ورواه من وجه آخر عن سعيد بن سلمة عن أبي الحسام عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة قال سئل رسول الله ﷺ عن استوت حسناته وسيئاته وعن أصحاب الأعراف فقال « إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم فقتلوا في سبيل الله » وقال سعيد بن منصور : حدثنا أبو معشر حدثنا يحيى بن شبيل عن يحيى بن عبد الرحمن المزني عن أبيه قال : سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال « هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعهم من النار قتلهم في سبيل الله » ورواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر ، وكذا رواه ابن ماجه مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس ، والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة ، وقصارها أن تكون موقوفة وفيه دلالة على ما ذكر . وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن الشعبي عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف قال فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فعدت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار ، قال فوقفوا هناك على السور حتى يقضي الله فيهم ، وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا فقال حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي إسحاق قال : قال الشعبي أرسل إليّ عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش فإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكرا ليس كما ذكرا فقلت لهما : إن شئكما أنبأكما بما ذكر حذيفة فقالا هات فقلت إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وعدت بهم سيئاتهم عن الجنة ﴿ فإذا صرفت أبصارهم تلقاه أصحاب النار قالوا ربنا لا تجمعنا مع القوم الظالمين ﴾ فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم اذهبوا فادخلوا الجنة فإنني قد غفرت لكم . وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال : قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله : ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ الآيتين ، ثم قال الميزان يخف بمقال حبة ، ويرجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار ﴿ قالوا ربنا لا تجمعنا مع القوم الظالمين ﴾ تعوذوا بالله من منازلهم قال : فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نوراً وكل أمة نوراً فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا ﴿ ربنا انهم لنا نورنا ﴾ وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع فهناك يقول الله تعالى : ﴿ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ فكان الطمع دخولاً .

قال : فقال ابن مسعود : إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة ثم يقول هلك من غلبت واحده أعشاره رواه ابن جرير وقال أيضاً : حدثني ابن وكيع حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال : الأعراف السور الذي بين الجنة والنار وأصحاب

الأعراف بذلك المكان حتى إذا بدا لله أن يعافهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه ذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال : تمنا ما شئتم ، فيتمنون حتى إذا انقطعت أمانيهم قال لهم : لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفاً ، فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة ، وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن المغيرة عن جرير ، به وقد رواه سفيان الثوري : عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد وعن عبد الله بن الحارث من قوله وهذا أصح والله أعلم . وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد وقال الحارث من قوله وهذا أصح والله أعلم . وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد وقال سعيد بن داود : حدثني جرير بن عمار بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال «هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم» وهذا مرسل حسن ، وقيل هم أولاد الزنى حكاها القرطبي وروى الحافظ بن عساكر في ترجمة الوليد بن موسى عن شيبه بن عثمان عن عروة بن رويم عن الحسن بن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب ، فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنيتهم فقال على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد ﷺ فسألناه وما الأعراف ؟ فقال حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنت فيه الأشجار والنار رواه البيهقي عن ابن بشران عن علي بن محمد المصري عن يوسف بن يزيد عن الوليد بن موسى به .

وقال سفيان الثوري : عن خصيف عن مجاهد قال أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء ، وقال ابن جرير ؛ حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله تعالى : ﴿وبينها حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾ قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال «ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون» وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين \* ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون \* أهؤلاء الذين أقسمت لا ينالهم الله برحمة \* قال فيقال حين يدخل أهل الجنة «ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» وهذا صحيح إلى أبي مجلز لاحق بن حميد أحد التابعين وهو غريب من قوله وخلاف الظاهر من السياق وقول الجمهور مقدم على قوله بدلالة الآية على ما ذهبوا إليه ، وكذا قول مجاهد إنهم قوم صالحون علماء فقهاء فيه غرابة أيضاً ، والله أعلم ، وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولاً : منها أنهم شهدوا أنهم صلحاء تهرعوا من فرع الآخرة وخلق يطلعون على أخبار الناس وقيل هم أنبياء وقيل هم ملائكة . وقوله تعالى : ﴿يعرفون كلا بسيماهم﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه وكذا روى الضحاك عنه ، وقال العوفي عن ابن عباس أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من في الجنة والنار وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه . ويتعدوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين وهم في ذلك يحبون أهل الجنة بسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها وهم داخلوها إن شاء الله ، وكذا قال مجاهد والضحاك والسدي والحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم .

وقال معمر عن الحسن إنه تلا هذه الآية ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ قال والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم وقال قتادة ؛ قد أنبأكم الله بمكانهم من الطمع ، وقوله ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ قال الضحاك عن ابن عباس إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . وقال السدي وإذا مروا بهم يعني بأصحاب الأعراف بزمرة يذهب بها إلى النار قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . وقال عكرمة تحمد وجوههم للنار فإذا راوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة ﴿قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ .

وَأَدَّى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ

لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا يَخُوفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٧﴾

يقول الله تعالى لإخباراً عن تفرغ أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم يعرفونهم في النار بسيماهم ﴿وما

أغنى عنكم جمعكم ﴿ وما كنتم تستكبرون ﴾ أي لا ينفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب الله بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنكال ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أصحاب الأعراف ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سعد حدثني أبي حدثني عمي حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ﴿ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم ﴾ الآية ، قال فلما قالوا لهم الذي قضى الله أن يقولوا يعني أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار قال الله لأهل التكبر والأموال ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ .

وقال حذيفة إن أصحاب الأعراف قوم تكافأت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فدخلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة فأتوا آدم فقالوا : يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أن أحدا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمته إليه غضبه وسجدت له الملائكة غيري ؟ فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا ابني إبراهيم فيأتون إبراهيم ﷺ فيسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فيقول تعلمون من أحد اتخذ الله خليلا هل تعلمون أن أحدا أحرقه قومه بالنار في الله غيري ؟ فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا ابني موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليماً وقربه نجياً غيري فيقولون لا فيقول ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا عيسى فيأتونه عليه السلام فيقولون له اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحدا خلقه الله من غير أب فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يريء الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله غيري ؟ قال : فيقولون لا ؛ فيقول : أنا حجيج نفسي ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن اتوا محمداً ﷺ فيأتوني فأضرب بيدي على صدري ثم أقول أنا لها ثم أمشي حتى أقف بين يدي العرش فاتي ربي عز وجل فيفتح لي من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط ثم أسجد فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي ثم اثني على ربي عز وجل ثم أخرج ساجداً فيقال لي ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول ربي أمتي فيقول هم لك فلا يبقى نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا غبطني بذلك المقام وهو المقام المحمود فاتي بهم الجنة فاستفتح فيفتح لي ولهم فيذهب بهم إلى نهر يقال له نهر الحيوان حافته قصب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصاهه الباقوت فيغتسلون منه فنعود إليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة فيصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى في صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال مساكين أهل الجنة .

وَأَدَّيْ أَصْحَابِ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى

الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسُوا

لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ بِمُحَدِّثَاتِكُمْ ﴿٥١﴾

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وأنهم لا يجابون إلى ذلك قال السدي ﴿ ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ يعني الطعام وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يستطعمونهم ويستسقونهم ، وقال الثوري عن عثمان الثقفي عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال ؛ ينادي الرجل أباه أو أخاه فيقول له قد احترقت فأفص علي من الماء فيقال لهم أجيوبهم فيقولون ﴿ إن الله حرمها على الكافرين ﴾ وروي من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس مثله سواء وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿ إن الله حرمها على الكافرين ﴾ يعني طعام الجنة وشرابها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي أخبرنا موسى بن المغيرة حدثنا أبو موسى الصفار في دار عمرو بن مسلم قال : سألت ابن عباس أو سئل أي الصدقة أفضل ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ ﴿ وأفضل الصدقة الماء أم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ وقال أيضاً : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح قال لما مرض أبو طالب قالوا له لو أرسلت إلى ابن أخيك هذا فيرسل إليك بعنقود من الجنة لعله أن يشفيك به ، فجاءه الرسول وأبو بكر عند النبي ﷺ فقال أبو بكر إن الله حرمها على الكافرين . ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا باتخاذهم الدين هواً ولعباً واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للأخرة ، وقوله ﴿ فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ أي يعاملهم معاملة من نسيتهم ، لأنه

تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه كما قال تعالى : ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة كقوله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ وقال ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْمَانُنَا وَأَنْتَ كَذِبٌ﴾ وكذلك اليوم تنسى ﴿وقال تعالى : ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ قال نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال تركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا ، وقال مجاهد تركهم في النار ، وقال السدي تركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا ، وفي الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك تراس وتربع ؟ فيقول بلى فيقول أضنت أنك ملاقي ؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فالיום أنساك كما نسيتي .

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَفَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ غَيْرِ هُدًى وَرَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُمْ يَقُولُ الْذَّيْبُ سُوهُ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ

فَدَخِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن إعداده إلى المشركين بإرسال الرسل إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول وأنه كتاب مفصل مبين كقوله ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْنَا﴾ الآية ، وقوله ﴿فَفَصَّلْنَا عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ للعالمين أي على علم منا بما فصلناه به كقوله ﴿أَنْزَلَهُ يَعْلَمُهُ﴾ قال ابن جرير وهذه الآية مردودة على قوله ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ الآية ، ولقد جئناهم بكتاب ﴿الآية ، وهذا الذي قاله فيه نظر فانه قد طال الفصل ولا دليل عليه وإنما الأمر أنه لما أخبر بما صاروا إليه من الخسارة في الآخرة ذكر أنه قد أراح عيولهم في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب كقوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ولهذا قال ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي ما وعدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار قاله مجاهد وغير واحد . وقال مالك : ثوابه .

وقال الربيع : لا يزال يحيى من تأويله أمر حتى يتم يوم الحساب حتى يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار فيتم تأويله يومئذ قوله ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ أي يوم القيامة قاله ابن عباس ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ أي تركوا العمل به وتناسوه في الدار الدنيا ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ أي في خلاصنا مما صرنا إليه بما نحن فيه ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدار الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ كقوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بَيِّنَاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل بداهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما هموا عنه وإيهم لكاذبون﴾ كما قال هاهنا ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي ذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله فلا يشفعون فيهم ولا ينصرونهم ولا يقذونهم مما هم فيه .

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى السَّمَاءَ يَوْمَ تَطَّلُبُكُمْ حَشِيئَاتُ

وَالسَّمَسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مَسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ ﴿٥٤﴾

يخبر تعالى أنه خالق العالم سبواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن ، والستة الأيام هي : الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وفيه اجتمع الخلق كله وفيه خلق آدم عليه السلام واختلقت في هذه الأيام هل كل يوم منها كهذه الأيام كما هو المتبادر إلى الأذهان أو كل يوم كألف سنة كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس ، فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق لأنه اليوم السابع ومنه سمي السبت وهو القطع .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال : حدثنا حجاج حدثنا ابن جريج أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال وخلق الله التربة

يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبت فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه والنسائي من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج وفيه استيعاب الأيام السبعة والله تعالى قد قال في ستة أيام ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعاً والله أعلم .

وأما قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه و﴿ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾ بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري قال من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيها وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى ، وقوله تعالى ﴿يفشي الليل النهار يطلبه حيثما﴾ أي يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منها يطلب الآخر طلباً حيثما أي سريعاً لا يتأخر عنه بل إذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه كقوله ﴿وأية هم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم \* والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم \* لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ فقوله ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أي لا يفوته بوقت يتأخر عنه بل هو في أثره بلا واسطة بينهما ولهذا قال ﴿يطلبه حيثما والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ منهم من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى أي الجميع تحت فهره وتسخيره ومشيته ولهذا قال منبهاً ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ أي له الملك والتصرف ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ كقوله ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا﴾ الآية .

قال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا إسحاق حدثنا هشام أبو عبد الرحمن ، حدثنا بقر بن الوليد ، حدثنا عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاري عن عبد العزيز الشامي عن أبيه وكانت له وصية قال : قال رسول الله ﷺ ومن لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ وفي الدعاء المأثور عن أبي الدرداء وروي مرفوعاً اللهم لك الملك كله ولك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله ، أسألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله .

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَنْفُسُ وَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا

وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم فقال ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ قيل معناه تذلاً واستكانة ، وخفية كقوله ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ الآية وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال رفع الناس أصواتهم بالدعاء فقال رسول الله ﷺ ﴿أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إن الذي تدعون سميع قريب﴾ الحديث ، وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله ﴿تضرعاً وخفية﴾ قال السر وقال ابن جرير تضرعاً تذلاً واستكانة لطاعته وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوجدانيته وربوبيته فيها بينكم وبينه لا جهاراً مرأاة وقال عبد الله بن المبارك بن فضالة عن الحسن قال إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله فقال ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾ وقال ابن جريج يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة .

ثم روي عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ في الدعاء ولا في غيره وقال أبو مجلز

﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ لا يسأل منازل الأنبياء ، وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن زياد بن مخراق سمعت أبا نعامة عن مولى لسعد أن سعدا سمع ابنا له يدعو وهو يقول اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها ونحوها من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها فقال لقد سألت الله خيرا كثيرا وتعوذت به من شر كثير وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء - وفي لفظ - يعتدون في الطهور والدعاء - وقرأ هذه الآية ﴿ادعوا ربكم تضرعا﴾ الآية - وإن بحسبك أن تقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل﴾ ورواه أبو داود من حديث شعبة عن زياد بن مخراق عن أبي نعامة عن مولى لسعد عن سعد فذكره والله أعلم ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا الحريري عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال يا بني سل الله الجنة وعذبه من النار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور﴾ وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان به وأخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن سعيد بن إياس الحريري عن أبي نعامة واسمه قيس بن عباية الخنفي البصري وهو إسناده حسن لا بأس به والله أعلم .

وقوله تعالى ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد الإصلاح فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه فقال ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ أي خوفاً مما عنده من وبيل العقاب وطمعاً فيها عنده من جزيل الثواب ثم قال ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ أي إن رحمة مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتروكون زواجره كما قال تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ الآية وقال قريب ولم يقل قريبة لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب أو لأنها مضافة إلى الله فلهذا قال قريب من المحسنين وقال مطر الوراق استنجزوا موعود الله بظاعته فإنه قضى أن رحمة قريب من المحسنين رواه ابن أبي حاتم .

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا

يَقَالُ لَأَسْقِنَهُ بَلَدًا مَّيِّتًا فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتًا بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا تَكْدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

لما ذكر تعالى أنه خالق السموات والأرض وأنه المتصرف الحاكم المدبر المسخر وأرشد إلى دعائه لأنه على ما يشاء قادر به تعالى على أنه الرزاق وأنه يعيد الموتى يوم القيامة فقال ﴿وهو الذي يرسل الرياح نشراً﴾ أي منتشرة بين يدي السحاب الحامل للمطر ومنهم من قرأ بشراً كقوله ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ وقوله ﴿بين يدي رحمة﴾ أي بين يدي المطر كما قال ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمة وهو الوالي الحميد﴾ وقال ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ وقوله ﴿حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً﴾ أي حملت الرياح سحاباً ثقالاً أي من كثرة ما فيها من الماء تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدهمة كما قال زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمِزْنَ تَحْمِلُ عَذْبًا زَلَالًا

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضَ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقَالًا

وقوله ﴿سقناه بلد ميت﴾ أي إلى أرض ميتة مجدبة لا نبات فيها كقوله ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها﴾ الآية ولهذا قال ﴿فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى﴾ أي كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها كذلك نحى الأجساد بعد صبروتها رمياً يوم القيامة ينزل الله سبحانه وتعالى ماء من السماء فتمطر الأرض أربعين يوماً فتنبت منه الأجساد في قبورها كما بنيت الحب في الأرض وهذا المعنى كثير في القرآن . يضرب الله مثلاً ليوم القيامة بإحياء الأرض بعد موتها ولهذا قال ﴿لعلكم تذكرون﴾ وقوله ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ أي والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعاً حسناً كقوله ﴿وأنبتنا نباتاً حسناً﴾ ﴿والذي خبث لا يخرج إلا نكدا﴾ قال مجاهد وغيره كالسباخ ونحوها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر .

وقال البخاري حدثنا محمد بن العلاء حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ «مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء ففزع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» رواه مسلم والنسائي من طرق عن أبي أسامة حماد بن أسامة

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ مَأْلِكُكُمْ مِنَ اللَّهِ فَاغْرِقُوا أَهْلًا أَهْلًا وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ لِقَوْمِهِ لَيْسَ بِي ضَالُّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿٦١﴾ أَلَيْسَ لَكُمْ رَسُولٌ رَبِّیْ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

لما ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة وما يتعلق بذلك وما يتصل به وفرغ منه شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام الأول فالأول فابتدأ بذكر نوح عليه السلام فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام وهو نوح بن لامك متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام فيما يزعمون وهو أول من خط بالقلم ابن برد بن مهليل بن قنبن بن يانش بن شيث بن آدم عليهم السلام هكذا نسبه محمد بن إسحاق وغير واحد من أئمة النسب . قال محمد بن إسحاق ولم يلق نبي من قومه من الأذى مثل نوح إلا نبي قتل وقال يزيد الرقاشي إنما سمي نوح لكثرة ما نوح على نفسه وقد كان بين آدم إلى زمن نوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير وكان أول ما عبدت الأصنام أن قوماً صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صور أولئك فيها ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم فلما طال الزمان جعلوا أجساداً على تلك الصور فلما تمدى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين ودا وسواها ويفوت ويعوق ونسرا فلما تفاقم الأمر بعث الله سبحانه وتعالى ولده الحمد والمثة رسوله نوحاً فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له فقال ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أي من عذاب يوم القيامة إذا لقيتم الله وأنتم مشركون به ﴿قال الملأ من قومه﴾ أي الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم ﴿إننا لترك في ضلال مبين﴾ أي في دعوتك إيانا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي وجدنا عليها آباءنا وهكذا حال الفجار إنما يرون الأبرار في ضلالة كقوله ﴿وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إلفك قديم﴾ إلى غير ذلك من الآيات ﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين﴾ أي ما أنا ضال ولكن أنا رسول من رب العالمين رب كل شيء ومليكه ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغاً فصيحاً ناصحاً عالماً بالله لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعاً «أيها الناس إنكم مسئولون عني فإيا أنتم قائلون؟» قالوا تشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها عليهم ويقول «اللهم اشهد اللهم اشهد» .

أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَجْتَنِتَهُ وَالَّذِينَ

مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى إخباراً عن نوح أنه قال لقومه ﴿أو عجبتم﴾ الآية ، أي لا تعجبوا من هذا فإن هذا ليس بعجب أن يوحى الله إلى رجل منكم رحمة بكم ولطفاً وإحساناً إليكم لينذركم ولتتقوا نعمة الله ولا تشركوا به ﴿ولعلكم ترحون﴾ قال الله تعالى ﴿فكذبوه﴾ أي تمادوا على تكذيبه ومخالفته وما آمن معه منهم إلا قليل كما نص عليه في موضع آخر ﴿فأنجيناه والذين معه في الفلك﴾ أي السفينة كما قال : فأنجيناه وأصحاب السفينة ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ كما قال ﴿وما خطيتهم أغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ وقوله ﴿إنهم كانوا قوماً عمين﴾ أي عن الحق لا

يصرونه ولا يهتدون له فيبين تعالى في هذه القصة أنه انتقم لأوليائه من أعدائه وأنجى رسوله والمؤمنين وأهلك أعداءهم من الكافرين كقوله ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية .  
وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة أن العاقبة فيها للمتقين والظفر والغلب لهم كما أهلك قوم نوح بالغرق ونجى نوحاً وأصحابه المؤمنين وقال مالك عن زيد بن أسلم كان قوم نوح قد ضاق بهم السهل والجبل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما عذب الله قوم نوح إلا والأرض ملأى بهم وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحائز وقال ابن وهب بلغني عن ابن عباس أنه نجا مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً أحدهم جرحهم وكان لسانه عربياً رواه ابن أبي حاتم وروى متصلاً من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

﴿وَالْيَعَادُ إِخَاهُمْ هُوَذَا قَالِ يَتَقَوْمِ آبَعِدُو اللّٰهَ مَا لَكُم مِّنَ اللّٰهِ عِبْرَةٌ أَفَلَا تَنفَعُونَ﴾

﴿٦٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَتَبْلُغُكُمْ رِسٰلَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُم نٰصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ زُرَادًا مِّن فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللّٰهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

يقول تعالى وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحاً كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا قال محمد بن إسحاق هم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ﴿قلت﴾ هؤلاء هم عاد الأولى الذين ذكرهم الله وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون إلى العمدة في البر كما قال تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد \* إرم ذات العماد \* التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ وذلك لشدة بأسهم وقوتهم كما قال تعالى ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ ألو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمجحدون﴾ وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف وهي جبال الرمل قال محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزازي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة سمعت علياً يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كشيئاً أحر من جباله مدره حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت ، هل رأيت ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين والله إنك لتنتهت نعت رجل قد رآه ، قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال فيه قبر هود عليه السلام رواه ابن جرير ، وهذا فيه فائدة أن مساكنهم كانت باليمن فإن هوداً عليه السلام دفن هناك وقد كان من أشرف قومه نسباً لأن الرسل إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم ولكن كان قومه كما شدد خلقهم شدد على قلوبهم وكانوا من أشد الأمم تكذيباً للحق ولهذا دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى طاعته وتقواه .

﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ والملأ هم الجمهور والسادة والقادة منهم ﴿إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ أي في ضلالة حيث تدعوننا إلى ترك عبادة الأصنام والإقبال على عبادة الله وحده كما تعجب الملأ من قريش من الدعوة إلى إله واحد فقالوا ﴿أجعل الآلهة لها واحداً﴾ الآية ﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾ أي لست كما تزعمون بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء فهو رب كل شيء ومليكه ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغ والنصح والأمانة ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم﴾ أي لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولاً من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقاءه بل احمداً الله على ذاكم ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ أي واذكروا نعمة الله عليكم في جعلكم من ذرية نوح الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته لما خالفوه وكذبوه ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ أي زاد طولكم على الناس بسطة أي جعلكم أطول من أبناء جنسكم كقوله في قصة طالوت ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ ﴿واذكروا آلاء الله﴾ أي نعمه ومنته عليكم ﴿لعلكم تفلحون﴾ والآلاء جمع إلى وقيل إلى .

قَالُوا اٰحْسَبْنَا لِعِبَادَةِ اللّٰهِ وَحَدِّهٖ وَنَدَّرَ مَا كَانَ يَعْْبُدُ ؕ اَبَاؤُنَا فَاِنَّا لَمَاعْتَدِلُنَا اِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ

﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدُّ لُونِي فِي سَمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ

مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَيَّ مِنْ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَجْبِئْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا

وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

يخبر تعالى عن تمردهم وطغيانهم وعنادهم وإنكارهم على هود عليه السلام ﴿قالوا أجبنا لنعبد الله وحده﴾ الآية كقول الكفار من قريش ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره أنهم كانوا يعبدون أصناماً فصنع يقال له صدا وآخر يقال صمود وآخر يقال له الهنا ولهذا قال هود عليه السلام ﴿قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب﴾ أي قد وجب عليكم بمقاتلتكم هذه من ربكم رجس قيل هو مقلوب من رجز وعن ابن عباس معناه سخط وغضب ﴿أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآبائكم﴾ أي أتجادلونني في هذه الأصنام التي سميتوها أنتم وآبائكم أمة وهي لا تضر ولا تنفع ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلاً ولهذا قال ﴿ما نزل الله بها من سلطان؟ فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ وهذا تهديد ووعيد من الرسول لقومه ولهذا عقبه بقوله ﴿فانجيئناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾ .

وقد ذكر الله سبحانه صفة إهلاكهم في أماكن أخر من القرآن بأنه أرسل عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم كما قال في الآية الأخرى ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ لما تمردوا وعتوا أهلكتهم الله بريح عاتية فكانت تحمل الرجل منهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشلق رأسه حتى تبيته من بين جسثه ولهذا قال ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ وقال محمد بن إسحاق كانوا يسكنون باليمن بين عمان وحضرموت وكانوا مع ذلك قد نشؤوا في الأرض وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله فبعث الله إليهم هوداً عليه السلام وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً فأمرهم أن يرحدوا الله ولا يجعلوا معه إلهاً غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناسي وهم يسير يكتمون إيمانهم فلما عنت عاد على الله وكذبوا نبيه وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية عبثاً بغير نفع كلمهم هود فقال ﴿أتيتون بكل ريع آية تعبثون﴾ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴿وإذا بطشتم ببطشتم جبارين﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آهنتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾ إن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء﴾ أي بجنون ﴿قال إني أشهد الله وأشهدوا أنني بريء مما تشركون﴾ من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ .

قال محمد بن إسحاق فلما أبوا إلا الكفر به أسك الله عنهم القطر ثلاث سنين فيها يزعمون حتى جهدهم ذلك قال وكان الناس إذا جهدهم أمر في ذلك الزمان وطلبوا من الله الفرج فيه إنما يطلبونه بحرمه ومكان بيته وكان معروفاً عند أهل ذلك الزمان وبه العماليق مقيمون وهم من سلالة عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم إذ ذاك رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت له أم من قوم عاد واسمها جلهذة ابنة الخييري قال فبعثت عاد وفداً قريباً من سبعين رجلاً إلى الحرم ليستسقوا لهم عند الحرم فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان : قيتان لمعاوية وكانوا قد وصلوا إليه في شهر فلما طال مقامهم عنده وأخذته شفقة على قومه واستحيا منهم أن يأمرهم بالانصراف عمل شعراً يعرض لهم بالانصراف وأمر القيتين أن تغنياهم به فقال :

ألا يا قبيل ويحك قم فهينهم  
فيسقي أرض عاد إن عاداً  
من العطش الشديد فليس نرجو  
وقد كانت نساؤهم بخير  
وإن الوحش تأتيهم جهاراً  
وأنت ما هنا فيما اشتبهت  
فنبح وفدكم من وفد قوم  
لعل الله يصيحبنا غماماً  
قد أمسوا لا يبينون الكلاماً  
به الشيخ الكبير ولا الغلاماً  
فقد أمست نساؤهم غيامى  
ولا تحشى لمادي سهاماً  
ناركهم وليلكم التماماً  
ولا لقوا التحية والسلاماً

قال فعند ذلك تنبه القوم لما جاءوا له فنهضوا إلى الحرم ودعوا لقومهم فدعا داعيهم وهو قيل بن عنز فأنشأ الله سبحانه ثلاثاً بيضاء وسوداء وحمرأ ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك أو لقومك من هذا السحاب فقال : اخترت هذه السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رماداً رمداً ، لا تبقي من عاد أحداً ولا والداً تترك ولا ولداً ، إلا جعلته همداً ، إلا بني الوذية المهندا ، قال وبنو الوذية بطن من عاد يقيمون بمكة فلم يصيبهم ما أصاب قومهم قال وهم من بقي من نسلهم وذريتهم عاد الأخرة قال وساق الله السحابة السوداء فيها يذكرون التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من الثقمة إلى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له المقيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا بقول ﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾ تدمر كل شيء أي تهلك كل شيء مرت به فكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح فيها يذكرون امرأة من عاد يقال لها عميد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أفادت قالوا ما رأيت يا عميد ؟ قالت ريحاً فيها شبه النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً كما قال الله تعالى والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك ، واعتزل هود عليه السلام فيها ذكر لي ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود وتلد الأنفس وأنها لتمر على عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وذكر تمام القصة بطولها وهو سياق غريب فيه فوائد كثيرة وقد قال الله تعالى : ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ .

وقد ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده قريب مما أورده محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله ، وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان التحوي حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري قال خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ فمررت بالربذة فإذا بمعجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة هل أنت مبلغني إليه قال فحملتها فأتيت المدينة فإذا المجلس غاص بأهله وإذا راية سوداء تخفق وإذا بلال متقلد سيفاً بين يدي رسول الله ﷺ فقلت ما شأن الناس ؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً قال فجلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت وسلمت فقال هل بينكم وبين تميم شيء قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم .

ومررت بمعجوز من بني تميم منقطع بها فسألته أن أحملها إليك وما هي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فأجعل الدهناء فحميت العجوز واستوفزت وقالت يا رسول الله فإني أين يضطر مضطرك قال قلت : إن مثلي مثل ما قال الأول : معزى حملت حنفها ، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد قال لي «وما وافد عاد ؟» وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه قلت إن عاداً قطعوا فبعثوا وافداً لهم يقال له قيل فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة فقال اللهم تأنك تعلم أنني لم أجد إلى مريض فأدويه ، ولا إلى أسير فأفاديه . اللهم استق عاداً ما كنت تسقيه ، فموت به سحابات سود فتودي منها اختر فأومأ إلى سحابة منها سوداء فتودي منها خذها رماداً رمداً ، لا تبقي من عاد أحداً قال فما بلغني أنه بعث الله عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا قال أبو وائل وصدق قال وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا لا تكن كوافد عاد هكذا رواه الإمام أحمد في المسند ، ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به نحوه ، ورواه النسائي من حديث سلام بن أبي المنذر عن عاصم وهو ابن بهدلة ومن طريقه رواه ابن ماجه أيضاً عن أبي وائل عن الحارث بن حسان البكري به ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن حباب به ووقع عنده عن الحارث بن يزيد البكري فذكره ورواه أيضاً عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن الحارث بن حسان البكري فذكره ولم أر في النسخة أبا وائل والله أعلم .

وَأَنَّ شُعُوبًا وَقَوْمًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَاتٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾  
وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجَلُونَ الْجِبَالَ يُبَوِّتُونَ فَأَذْكُرُوا لَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ السَّلَامُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ لَعْنٌ أَمِنْ مَنَّهُمْ أَنْتُمْ لَعَلْتُمْ أَنَّكُمْ صَلِحَاءٌ مِّنْ رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ

مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَسَوُا عَن  
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا بُرَيْدُ إِنَّا إِنَّمَا نَقَدْنَا وَإِنَّا بِكُنُوزِكُمْ لَوَّاعُونَ أَعْمَى ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ

### جَنَّتِيمِ ﴿٧٨﴾

قال علماء التفسير والنسب ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عاثر وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله وقد مر رسول الله ﷺ على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعجبوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي ﷺ فأهرقوا القدور وعلفوا العجيين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم» وقال أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر «لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم» وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين من غير وجه .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا يزيد بن هارون السعدي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري عن أبيه قال لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس «الصلاة جامعة» قال فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعزرة وهو يقول «ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم» فناداه رجل منهم تعجب منهم يا رسول الله ؟ قال «أفلا أتيتكم بأعجب من ذلك . رجل من أنفسكم يبيتكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعاب بعدابكم شيئاً وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً» لم يخرج أحد من أصحاب السنن وأبو كبشة اسمه عمر بن سعد ويقال عامر بن سعد والله أعلم ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال «لا تسألوا الآيات فقد سأها قوم صالح فكانت - يعني الناقة - ترد من هذا الفجج وتصدر من هذا الفجج فعنوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً فعقروها فأخذتهم صيحة أخذ الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله» فقالوا من هو يا رسول الله قال «أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه» وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة وهو على شرط مسلم . قوله تعالى : ﴿وإلى ثمود﴾ أي ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ وقال ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ وقوله ﴿قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية﴾ أي قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئتم به وكانوا هم الذين سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه بأن يخرج لهم من صخرة صماء عيونها بأنفسهم وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشراء فآخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤاهاهم وأجابهم إلى طلبهم ليؤمنن به ولتبعنه فلما أعطوه على ذلك عهدهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل فتحررت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء بتحريك جنتيها بين جنتيها كما سألوا فعند ذلك آمن رئيسهم جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره وأراد بقية أشرف ثمود أن يؤمنوا فصددهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعرب بن جلهمس وكان جندع بن عمرو بن عم يقول له : شهاب بن خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس وكان من أشرف ثمود وأفاضلها فأراد أن يسلم أيضاً فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال له مهوش بن عثمة بن الدميل رحمه الله :

وكانت عصبية من آل عمرو  
عزيرز ثمود كلهم جميعاً  
إلى دين النبي دعوا شهابياً  
فهم بأن يجيب فلو أجابياً

لأصبح صالح فينا عزيزاً وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا  
ولكن الغواة من آل حجر تولوا بعد رشدهم ذيابا

وأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة تشرب من بثرها يوماً وتدعه لهم يوماً وكانوا يشربون لبنها يوم شربها يحبونها فيملأون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيتهم كما قال في الآية الأخرى ﴿وئنيهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾ وقال تعالى : ﴿هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ وكانت ترح في بعض تلك الأودية ترد من فح وتصدر من غيره ليسعها لأنها كانت تتضلع من الماء وكانت على ما ذكر خلقا هائلا ومنظرا رائعا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام عزموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم فيقال إنهم اتفقوا كلهم على قتلها ، قال قتادة بلغني أن الذي قتلها طاف عليهم كلهم أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن وعلى الصبيان قلت وهذا هو الظاهر لقروله تعالى : ﴿فكذبوه فمقرؤها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها﴾ وقال ﴿وأيتنا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾ وقال ﴿فمقرروا الناقة﴾ فأسد ذلك على مجموع القبيلة فدل على رضی جميعهم بذلك والله أعلم .

وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التفسير أن سب قتلها أن امرأة منهم يقال لها عنيزة ابنة غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان كانت عجوزا كافرة وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانت لها بنات حسان ومال جزيل وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود وامرأة أخرى يقال لها صدقة بنت المحيا بن زهير بن المختار ذات حسب ومال وجمال وكانت تحت رجل مسلم من ثمود فقارفته فكانتا تجعلان لمن التزم لها بقتل الناقة فدعت صدقة رجلاً يقال له الحجاب فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم فدار بن سالف بن جدع وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً يزعمون أنه كان ولد زنية وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف وإنما هو من رجل يقال له صهيداً ولكن ولد على فراش سالف . وقالت له أعطيك أي بناتي شئت عى أن تعقر الناقة فندد ذلك انطلق فدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة من ثمود فاتبعها سبعة نفر فصاروا تسعة رهط وهم الذين قال الله تعالى : ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ وكانوا رؤساء في قومهم فاستمالوا القبيلة الكافرة بكما لها فطاوعتهم على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها فدار بن سالف في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانظم به عضلة ساقها وخرجت بنت غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجهاً فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته وشد عليها قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة إلى الأرض ورغت رغاء واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فخرها وانطلق سقبها وهو فصيلها حتى أتى جبلاً متيناً فصعد أعلى صخرة فيه ورغا ، فروى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري أنه قال : يا رب أين أمي ؟ ويقال إنه رغا ثلاث مرات وإنه دخل في صخرة فغاب فيها ، ويقال إنهم اتبعوه فمقرهه مع أمه فالله أعلم ؛ فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة وبلغ الخبر صالحاً عليه السلام ، فجاءهم وهم مجتمعون ، فلما رأى الناقة بكى وقال ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ الآية .

وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء ، فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح وقالوا : إن كان صادقاً عجلناه قبلنا وإن كان كاذباً ألحقناه بناقته ﴿قالوا تقاسموا بالله لئيبنته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ومكروا مكراً ومكرونا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عقابة مكربهم﴾ الآية ؛ فلما عزموا على ذلك وتواطئوا عليه وجاءوا من الليل ليقتكوا نبي الله ، فأرسل الله سبحانه وتعالى وله العزة ولرسوله عليهم حجارة فرفضتهم سلفاً وتجيلاً قبل قومهم ، وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح عليه السلام ، وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم عمرة ، وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ووجوههم مسودة ، فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحطوا وقعدوا ينتظرون نعمة الله وعذابه عياداً بالله من ذلك لا يدرون ماذا يفعل بهم ولا كيف يأتيهم العذاب ، وأشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ أي صرعى لا أرواح فيهم ولم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير لا ذكر ولا أنثى ، قالوا : إلا جارية كانت مفعدة واسمها كلبه ابنة السلق ، ويقال لها الذريعة ، وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه السلام ، فلما رأت ما رأت من العذاب أطلقت رجلاها ، فقامت تسعى كاسرع شيء فأتت حياً من الأحياء فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها ثم استسقتهم من الماء ، فلما شربت ماتت .

قال علماء التفسير : ولم يبق من ذرية ثمود أحد سوى صالح عليه السلام ومن تبعه رضي الله عنهم ، إلا أن رجلاً يقال له أبو رغال كان لما وقعت النعمة بقومه مقبياً إذ ذاك في الحرم فلم يصبه شيء فلما خرج في بعض الأيام إلى الحل جاءه حجر من السماء فقتله ، وقد تقدم في أول القصة حديث جابر بن عبد الله في ذلك وذكروا أن أبا رغال هذا هو والد ثقيف الذين كانوا يسكنون الطائف ؛ قال عبد الرزاق عن معمر : أخبرني إسماعيل بن أمية أن النبي ﷺ مر بقبر أبي رغال فقال «أتدرون من هذا ؟» قالوا الله ورسوله أعلم ، قال «هذا قبر أبي رغال رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب ، فنزل القوم فابتدروه بأسيا فهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن» وقال عبد الرزاق ، قال معمر ، قال الزهري : أبو رغال أبو ثقيف هذا مرسل من هذا الوجه .

وقد روي متصلاً من وجه آخر كما قال محمد بن إسحاق : عن إسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمرنا بقبر ، فقال «هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم فدفع عنه . فلما خرج أصابته النعمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وأية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبستم عنه أصبتموه ، فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن» وهكذا رواه أبو داود ؛ عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن ابن إسحاق به ؛ قال شيخنا أبو الحجاج المزني : وهو حديث حسن عزيز (قلت) تفرد بوصله بجير بن أبي بجير هذا ، وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث ، قال يحيى بن معين : ولم أسمع أحداً روى عنه غير إسماعيل بن أمية ؛ (قلت) وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم في رفع هذا الحديث . وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو لما أخذه من الزاملتين ، قال شيخنا أبو الحجاج بعد أن عرضت عليه ذلك وهذا محتمل والله أعلم .

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾

هذا تفرغ من صالح عليه السلام لقومه ، لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه وتمردهم على الله وإيائهم عن قبول الحق وإعراضهم عن الهدى إلى العمى ، قال فم صالح ذلك بعد هلاكهم ، تقريراً وتوبيخاً وهم يسمعون ذلك ، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر أقام هناك ثلاثاً ، ثم أمر براحلته فشدت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ثم سار حتى وقف على القليب قليب بدر ، فجعل يقول «يا أبا جهل بن هشام يا عتبة بن ربيعة يا شيبه بن ربيعة ويا فلان بن فلان هل وجدت ما وعدتكم ما وعدتكم حقاً ، فإني وجدت ما وعدتني ربي حقاً» فقال له عمر : يا رسول الله ما تكلم من أقوام قد جيفوا ؟ فقال «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون» وفي السيرة أنه عليه السلام قال لهم «بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتوني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقتلتوني ونصرني الناس ، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم» .

وهكذا صالح عليه السلام قال لقومه ﴿لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم﴾ أي فلم تنتفعوا بذلك لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحاً ، ولهذا قال ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ وقد ذكر بعض المفسرين : أن كل نبي هلكت أمته كان يذهب فيقيم في الحرم حرم مكة ، والله أعلم ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا زعفة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما مر رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حج قال «يا أبا بكر أي واد هذا ؟» قال هذا وادي عسفان ، قال «لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمهن الليف أزروهم العباء وأرديتهم النهار ، يلبنون يحجون البيت العتيق» هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يخرج أحد منهم .

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفُلُوحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمَنَالِينِ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً

مِنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالى ﴿و﴾ لقد أرسلنا ﴿لوطاً﴾ أو تقديره ﴿و﴾ اذكر ﴿لوطاً﴾ إذ قال لقومه ﴿لوط هو ابن هاران بن آزر وهو

ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى أرض الشام فبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى ، يدعوهم إلى الله عز وجل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من الماثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم ، وهو إتيان الذكور دون الإناث ، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ولا يحظر بياهم ، حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله .

قال عمرو بن دينار في قوله ﴿ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ قال : ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط ، وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي باني جامع دمشق : لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً ، ولهذا قال لهم لوط عليه السلام ﴿ أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ﴿ أي عدلتم من النساء وما خلق لكم ربيكم منهن إلى الرجال وهذا إسراف منكم وجهل لأنه وضع الشيء في غير محله ، ولهذا قال لهم في الآية الأخرى ﴿ هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين ﴾ فأرشدهم إلى نسايتهم فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن ، ﴿ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد ﴾ أي لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء ولا إرادة ، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك ، وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض وكذلك نساؤهم كن قد استغنين بعضهن ببعض أيضاً .

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَرْجُوهُمْ مِنْ قَرَبَيْتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَطْهَرُونَ ﴿٨٦﴾

أي ما أجابوا لوطاً إلا أن هموا بإخراجه ونفيه ومن معه من بين أظهرهم ، فأخرجه الله تعالى سالماً وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهاتين ، وقوله تعالى : ﴿ إنهم أناس يطهرون ﴾ قال قتادة : عابوهم بغير عيب ، وقال مجاهد : إنهم أناس يطهرون من أديار الرجال وأديار النساء . وروي مثله عن ابن عباس أيضاً .

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرِكَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى فانجينا لوطاً وأهله ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط ، كما قال تعالى : ﴿ فأخرجنا من كان فيها المؤمنين ﴾ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴿ إلا امرأته فإنها لم تؤمن به ، بل كانت على دين قومها تماثلهم عليه وتعلمهم بمن يقدم عليه من ضيفانه بإشارات بينها وبينهم ، وهذا لما أمر لوط عليه السلام ليسري بأهله أمر أن لا يعلمها ولا يخرجها من البلد ، ومنهم من يقول : بل اتبعتم فلما جاء العذاب التفتت هي فأصابها ما أصابهم ، والأظهر أنها لم تخرج من البلد ولا أعلمها لوط بل بقيت معهم ، وهذا قال هبنا ﴿ إلا امرأته كانت من الغابرين ﴾ أي الباقيين ، وقيل من الهالكين وهو تفسير باللازم ، وقوله ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ مفسر بقوله ﴿ وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ ولهذا قال ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة من يجترىء على معاصي الله عز وجل ويكذب رسله .

وقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللانظ يلقى من شاقق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط ، وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يرجم سواء كان محصناً أو غير محصن وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله والحجة ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث الدراوردي عن عمرو بن أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» وقال آخرون هو كالزاني فإن كان محصناً رجم ، وإن لم يكن محصناً جلد مائة جلدة وهو القول الآخر للشافعي ، وأما إتيان النساء في الأديار فهو اللوطية الصغرى وهو حرام بإجماع العلماء إلا قولاً شاذاً لبعض السلف وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ وقد تقدم الكلام عليها في سورة البقرة .

وَالِى مَدِينَةٍ أَهْلَهُمْ شُعَيْبًا قَالَ نَفِّؤْهُمْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَعْلِيمٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَآوُوا إِلَى الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَنفُسُوا فِي الْأَرْضِ بِعَدْوٍ

## إِصْلَحْهَا ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

قال محمد بن إسحاق : هم من سلالة مدين بن إبراهيم وشعيب وهو ابن ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية يثرون (قلت) مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ وهم أصحاب الأيكة كما سنذكره إن شاء الله وبه الثقة ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ هذه دعوة الرسل كلهم قد جاءتكم بيعة من ربكم ، أي قد أقام الله الحجج والبيئات على صدق ما جئتكم به ، ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان ولا يبخسوا الناس أشياءهم ، أي لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس وهو نقص المكيال والميزان خفية وتدليساً كما قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - لَرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا تهديد شديد ووعد أكيد نسأل الله العافية منه ، ثم قال تعالى إخباراً عن شعيب الذي يقال له خطيب الأنبياء لفصاحة عبارته وجزالة مواعظته .

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا  
وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُتِرْكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ  
مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُزِيلَتْ بِهِ - وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

ينهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسي والمعنوي بقوله ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ أي تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم قال السدي وغيره : كانوا عشارين ، وعن ابن عباس وبجاهد وغير واحد ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ أي تتوعدون المؤمنين الأتيين إلى شعيب ليتبعوه والأول أظهر لأنه قال ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ وهو الطريق وهذا الثاني هو قوله ﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً﴾ أي وتدودون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ أي كنتم مستضعفين لقتلكم فصرتم أعزة لكثرة عددكم فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أي من الأمم الخالية والقرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنتكال باجترانهم على معاصي الله وتكذيب رسله . وقوله ﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا﴾ أي قد اختلفتم علي ﴿فاصبروا﴾ أي انتظروا ﴿حتى يحكم الله بيننا﴾ وبينكم أي يفصل ﴿وهو خير الحاكمين﴾ فإنه سيجعل العاقبة للمتقين ، والدمار على الكافرين .

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيِنَا أَوْلَعُنَا فِي مِلَّةِنَا قَالَ أَوْلُو  
كَانَ كَاهِنِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ  
اللَّهُ رَبَّنَا وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْسَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

هذا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيباً ومن معه من المؤمنين في توعدهم إياه ومن معه بالنفي عن القرية أو الإكراه على الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيها هم فيه ، وهذا خطاب مع الرسول والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة ، وقوله ﴿أو لو كنا كاهينين؟﴾ يقول أو أنتم فاعلمون ذلك ولو كنا كاهينين ما تدعوننا إليه فإننا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيها أنتم فيه فقد أعظمتنا القرية على الله في جعل الشركاء معه أندادا وهذا تفسير منه عن اتباعهم ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ وهذا رد إلى الله مستقيم فإنه يعلم كل شيء وقد أحاط بكل شيء علماً ﴿على الله توكلنا﴾ أي في أمورنا ما نأتي منها وما نذر ﴿ربنا افجع بيننا وبين قومنا بالحق﴾ أي احكم بيننا وبين قومنا وانصرنا عليهم ﴿وأنت خير الفاتحين﴾ أي خير الحاكمين ، فإنك العادل الذي لا يجوز أبداً .

وَقَالَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن قَوْمِهِ لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِتَّكُرُوا إِذَا الْخَبِيرُونَ ﴿١١٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ

﴿١١١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْتَنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَبِيرِينَ ﴿١١٢﴾

يجري تعالى عن شدة كفرهم وتمردهم وعتوهم وما هم فيه من الضلال وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق وهذا أقسموا وقالوا ﴿لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخامرون﴾ فلهدأ عقبه بقوله ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ أخبر تعالى هنا أنهم أخذتهم الرجفة وذلك كما أرجفوا شعيباً وأصحابه وتوعدوهم بالجلأ، كما أخبر عنهم في سورة هود فقال ﴿ولما جاءهم أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ والمناسبة هنا والله أعلم أنهم لما تكلموا به في قلوبهم ﴿أصلا تكم تأمرك﴾ الآية فجاءت الصيحة فأسكتتهم ، وقال تعالى إخباراً عنهم في سورة الشعراء ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾ الآية .

فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة وقد اجتمع عليهم ذلك كله أصابهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح وفاضت النفوس ومخدت الأجسام ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ ثم قال تعالى : ﴿كان لم يفتنوا فيها﴾ أي كأنهم لما أصابتهم النعمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلأ الرسول وصحبه منها ثم قال تعالى مقابلاً لقليلهم ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ .

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِي مَنِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ عَلَى قَوْمٍ كَقَوْمِكُمْ ﴿١١٣﴾

أي فتولى عنهم شعيب عليه السلام بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنعمة والنكال ، وقال مقرعاً لهم وموبخاً ﴿يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم﴾ أي قد أدبت إليكم ما أرسلت به فلا آسف عليكم وقد كفرتم بما حثتكم به فلهدأ قال ﴿فكيف آسى على قوم كافرين؟﴾ .

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿١١٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ

الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١٥﴾

يقول تعالى مخبراً عما اختبر به الأمم الماضية الذين أرسل إليهم الأنبياء بالأساء والضراء ، يعني بالأساء ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام ، والضراء ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك لعلمهم يضرعون ، أي يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم ، وتقدير الكلام أنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا فما فعلوا شيئاً من الذي أراد منهم ، فقلب عليهم الحال إلى الرخاء ليختبرهم فيه ، وهذا قال ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة﴾ أي حولنا الحالة من شدة إلى رخاء ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية ومن فقر إلى غنى ليشكروا على ذلك فما فعلوا ؛ وقوله ﴿حتى عفاوا﴾ أي كثروا وكثرت أمواتهم وأولادهم ، يقال عفا الشيء إذا كثر .

﴿وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى : ابتليناهم بهذا وهذا ليتضرعوا ويبتسوا إلى الله فما نجح فيهم لا هذا ولا هذا ولا انتهوا بهذا ولا بهذا ، وقالوا : قد مسنا من البأساء والضراء ثم بعده من الرخاء مثل ما أصاب آباءنا في قديم الزمان والدهر ، وإنما هو الدهر تارات وتارات ، بل لم يفتنوا لأمر الله فيهم ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين ، وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء ويصبرون على الضراء كما ثبت في الصحيحين «عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له» فالمؤمن من يفتنن لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء ، وهذا جاء في الحديث «لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقياً من ذنوبه ، والمنافق مثله كمثل الحمار لا يدرى فيم يربطه أمهله ولا فيم أرسلوه» أو كما قال ، ولهذا عقب هذه الصفة بقوله ﴿فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ أي أخذناهم بالمعقوبة بغتة ، أي على بغتة .

وعدم شعور منهم أي أخذناهم فجأة كما في الحديث وموت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ يَقِيمُونَ ﴿١١٧﴾ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا

ضَعِيٍّ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١٩﴾

يخبر تعالى عن قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل ؛ كقوله تعالى : ﴿فلولا كانت قرية آمنت ففضعنا إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ أي ما آمنت قرية بشماها إلا قوم يونس ، فإنهم آمنوا وذلك بعدما عابوا العذاب ، كما قال تعالى : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فممتناهم إلى حين﴾ وقال تعالى : ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا الآية ، وقوله تعالى : ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا﴾ أي آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعوه ، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ أي قطر السماء ونبات الأرض ، قال تعالى : ﴿ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ أي ولكن كذبوا رسلهم فعاقبتناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم ، ثم قال تعالى مخوفاً ومخذراً من مخالفة أوامره والتجرؤ على زواجره : ﴿أفأمن أهل القرى﴾ أي الكافرة ﴿أن يأتيهم بأسنا﴾ أي عذابنا ونكالنا ﴿بياتاً﴾ أي ليلاً ﴿وهم نائمون﴾ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾ أي في حال شغلهم وغفلتهم ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ أي بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذة إياهم في حال سهوهم وغفلتهم ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن .

أَوْ لَو يَهْدِي لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوَنَشَاءَ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ

### لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٢٠﴾

قال ابن عباس رضي الله عنها في قوله ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾ أو لم يتبين لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ، وكذا قال مجاهد وغيره ، وقال أبو جعفر بن جرير في تفسيرها : يقول تعالى أو لم يتبين للذين يستخلفون في الأرض من بعد إهلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم وعتوا على ربهم ﴿أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ يقول : أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ يقول ونختم على قلوبهم ﴿فهم لا يسمعون﴾ موعظة ولا تذكيراً (قلت) وهكذا قال تعالى : ﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النباه﴾ وقال تعالى : ﴿أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون﴾ وقال ﴿أو لم تكونوا أقمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾ أي هل ترى لهم شخصاً أو تسمع لهم صوتاً ؟

وقال تعالى : ﴿أو لم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ وقال تعالى بعد ذكره إهلاك عاد ﴿فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كذاك نجزي القوم المجرمين﴾ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون﴾ .

وقال تعالى : ﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلنا فكيف كان نكير﴾ وقال تعالى : ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير﴾ وقال تعالى : ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعنى الأبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور﴾ وقال تعالى ﴿ولقد استهزؤا برسول من قبلك فحاق بالذين

سخرُوا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴿١١٤﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على حلول نقمه بأعدائه وحصول نعمه لأوليائه ولهذا عقب بقوله وهو أصدق القائلين ورب العالمين .

تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ  
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٥﴾ وَمَا جَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ جَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١١٦﴾

لما قص تعالى على نبيه ﷺ خبر قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما كان من إهلاك الكافرين وإنجائه المؤمنين ، وأنه تعالى أعدل إليهم بأن بين لهم الحق بالحقج على السنة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين ، قال تعالى : ﴿تلك القرى نقص عليك﴾ أي يا محمد ﴿من أنبيائها﴾ أي من أخبارها ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي الحجج على صدقهم فيما أخبروهم به ، كما قال تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ وقال تعالى : ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد \* وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ وقوله تعالى : ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ الباء سببية ، أي فها كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم حكاة ابن عطية رحمه الله وهو منجبه حسن كقوله ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون \* ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ الآية ، وهذا قال هنا ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم﴾ أي لاكثر الأمم الماضية ﴿من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ أي وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال والعهد الذي أخذه هو ما جبلهم عليه وفطرم عليه وأخذ عليهم في الاصلاب أنه ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو وأقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم به ، وخالفوه وتركوه وراء ظهورهم وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لا من عقل ولا شرع ، وفي الفطرة السليمة خلاف ذلك ، وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنبي عن ذلك كما جاء في صحيح مسلم ، يقول الله تعالى : **إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وفي الصحيحين لكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث .**

وقال تعالى في كتابه العزيز ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ وقوله تعالى : ﴿وأسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آتة يعبدون﴾ وقال تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ إلى غير ذلك من الآيات ؛ وقد قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ ما روى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ قال كان في علمه تعالى يوم أقروا له بالميثاق ، أي فها كانوا ليؤمنوا لعلم الله منهم ذلك ، وكذا قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن أنس ، واختاره ابن جرير ، وقال السدي ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فأمنوا كرها ؛ وقال مجاهد في قوله ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ هذا كقوله ﴿ولو ردوا لعادوا﴾ الآية .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١٧﴾

يقول تعالى : ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ أي الرسل المتقدم ذكرهم كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين ﴿موسى بآياتنا﴾ أي بحججنا ودلائلنا البينة إلى فرعون ، وهو ملك مصر في زمن موسى ﴿وملئه﴾ أي قومه ﴿فظلموا بها﴾ أي جحدوا وكفروا بها ظلما منهم وعنادا ، وكقوله تعالى : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أي الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله ، أي انظريا عمدا كيف فعلنا بهم وأغرقتناهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه ، وهذا أبلغ في النكال بفرعون وقومه وأشقى لقلوب أولياء الله موسى وقومه من المؤمنين به .

وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ

بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١١٩﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٠﴾

يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإلجامة إياه بالحجة وإظهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر ، فقال تعالى : ﴿وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين﴾ أي أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربّه ومليكه ، ﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ فقال بعضهم : معناه حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، أي جدير بذلك وحري به ، قالوا : والباء وعلى يتعاقبان يقال رميت بالقوس وعلى القوس ، وجاء على حال حسنة ويحال حسنة ، وقال بعض المفسرين : معناه حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق ، وقرأ آخرون من أهل المدينة : حقيق علي بمعنى واجب وحق علي ذلك أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق ، لما أعلم من جلاله وعظيم شأنه ﴿قد جنتكم بيينة من ربكم﴾ أي بحجة قاطعة من الله أعطانها دليلاً على صدقي فيما جنتكم به ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ أي أطلقهم من أسرك وقهرك ، ودعهم وعبادة ربك وربهم فإنهم من سلالة نبي كريم إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ﴿قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين﴾ أي قال فرعون لست بمصدقك فيما قلت ولا بمطيعك فيما طلبت ، فإن كانت معك حجة فأظهرها لزاها إن كنت صادقاً فيما ادعيت .

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ثعبان مبين﴾ الحية الذكر ، وكذا قال السدي والضحاك ؛ وفي حديث الفتون من رواية يزيد بن هارون بن الأصبح بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال ﴿فألقي عصاه﴾ فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون ، فلما رآها فرعون أنها قاصدة إليه اقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ، وقال قتادة : تحولت حية عظيمة مثل المدينة ، وقال السدي في قوله ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ الثعبان الذكر من الحيات فاتحة فاها واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما أذعر منها ووثب وأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك ، وصاح يا موسى خذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل ، فأخذها موسى عليه السلام فعدت عصا ، وروي عن عكرمة عن ابن عباس نحو هذا ؛ وقال وهب بن منبه : لما دخل موسى على فرعون قال له فرعون : أعرفك قال نعم قال ﴿ألم تر يك فينا وليدا﴾ قال : فرد إليه موسى الذي رد ، فقال فرعون : خذوه فبادر موسى ﴿فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ فحملت على الناس فانهمزوا منها ، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً ، وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيت ، رواه ابن جرير والإمام أحمد ، في كتابه الزهد ، وابن أبي حاتم وفيه غرابة في سياقه والله أعلم .

وقوله ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ أي أخرج يده من درعه بعد ما أدخلها فيه فإذا هي بيضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض ، كما قال تعالى : ﴿وأدخل يدك في جيبك فخرج بيضاء من غير سوء﴾ الآية ، وقال ابن عباس في حديث الفتون : من غير سوء يعني من غير برص ثم أعادها إلى كفه فعدت إلى لونها الأول ، وكذا قال مجاهد وغير واحد .

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَا ذَاتَا مُرُوتٍ ﴿١١٠﴾

أي قال الملأ وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه بعدما رجع إليه روعه واستقر على سريره ملكته بعد ذلك قال للملأ حوله ﴿إن هذا ساحر عليم﴾ فوافقوا وقالوا كمثلته وتشاؤروا في أمره كيف يصنعون في أمره وكيف تكون حيلتهم في اطفاء نوره وإخماد كلمته وظهور كذبه وافتراءه وتخوفوا أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سبباً لظهوره عليهم وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه كما قال تعالى : ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ فلما تشاوروا في شأنه واتمروا بما فيه اتفق رأيهم على ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى .

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ خَشِيرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّبُكَ يَكِلُ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

قال ابن عباس ﴿أرجه﴾ أخره وقال قتادة أحبسه ﴿وأرسل﴾ أي ابعث ﴿في المدائن﴾ أي في الأقاليم ومدائن ملكك ﴿خاشرين﴾ أي من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويمجمهم وقد كان السحر في زمانهم غالباً كثيراً ظاهراً واعتقد من اعتقد منهم وأوهم من أوهم منهم ان ما جاء موسى به عليه السلام من قبيل ما تشعبه سحرتهم فلهاذا جمعوا له السحرة

ليعارضوه بنظير ما أراهم من الينيات كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال ﴿اجتئنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتيك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى ﴾ قال موعدهم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴿ فتولى فرعون فجمع كيدته ثم أتى ﴿ وقال تعالى مهنا :

وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِنِ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٣٧﴾

يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضه موسى عليه السلام إن غلبوا موسى ليشتبهم وليعطيههم عطاء جزئياً فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أرادوا ويجعلهم من جلسائه والمقربين عنده فلما توثقوا من فرعون لعنه الله .

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَن تُلْقِي وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونُ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٣٨﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَأَسْرَهُوهُمْ وَجَاءَهُمْ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١٣٩﴾

هذه مبارزة من السحرة لموسى عليه الله في قولهم ﴿إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين﴾ أي قبلك كما قال في الآية الأخرى ﴿وإما أن نكون أول من ألقى﴾ فقال لهم موسى عليه السلام ألقوا أي أنتم أولاً ، قيل الحكمة في هذا والله أعلم يبرى الناس صميمهم ويتأملوه فإذا فرغوا من بهرجهم ومغالهم جاءهم الحق الواضح الجلي بعد التطلب له والانتظار منهم نجيبه فيكون أوقع في النفوس وكذا كان ولهذا قال تعالى : ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾ أي خيلوا إلى الأصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال كما قال تعالى : ﴿فإذا جباهم وعصبيهم يخيّل إليه من سحرهم أنها تسمى ﴾ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴿ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ والحق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴿ .

قال سفيان بن عيينة حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس : ألقوا جبلاً غلاظاً وخشباً طويلاً ، قال فأقبلت يخيّل إليه من سحرهم أنها تسمى وقال محمد بن إسحاق صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر جباله وعصبيه وخرج موسى عليه السلام معه أخوه يتكوى على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشرف أهل مملكته ثم قال السحرة ﴿يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى ﴾ قال بل ألقوا فإذا جباهم وعصبيهم ﴿ فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من الجبال والعصي فإذا حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل وليس رجل إلا ومعه جبل وعصا ﴿ فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم ﴾ يقول فرقوم أي من الفرق وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن هشام الدستوائي حدثنا القاسم بن أبي برة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر فلقوا سبعين ألف جبل وسبعين ألف عصا حتى جعل يخيّل إليه من سحرهم أنها تسمى ولهذا قال تعالى : ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٤٠﴾ فَوَقَّ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ فَعَلِبُوا

هَذَا لَكَ وَأَقْبَلُوا صَافِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَدِينٍ ﴿١٤٣﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٤٥﴾

يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه ﴿فإذا هي تلقف﴾ أي تأكل ﴿ما يأفكون﴾ أي ما يلقونه ويومنون أنه حق وهو باطل قال ابن عباس فجعلت لا تمر بشيء من جباهم ولا من خشبهم إلا التقتته فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فحروا سجداً وقالوا ﴿أما برب العالمين رب موسى وهارون﴾ .

وقال محمد بن إسحاق جعلت تتبع تلك الجبال والعصي واحدة واحدة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت ووقع السحرة سجداً قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون لو كان هذا ساحراً ما غلبنا وقال القاسم بن أبي برة أوحى الله إليه أن ألقى عصاك فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبین فاغر فاه يتطلع

جبالهم وعصبيهم فالتقى السحرة عند ذلك سجداً فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها .  
 قَالَ فَرَعُونَ ءَأَمْنُمْ بِهٖ قَبْلَ اَنْۢ اٰذَنْ لَكَرِيْمًا هٰذَا الْمَكْرُ مَكْرَتُوهُ فِى الْمَدِيْنَةِ لِنُخْرَجُوْا مِنْهَا اَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُوْنَ ﴿١٢٦﴾ لَا قَطْعَانَ  
 اَيْدِيْكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَا صَلْبِيْنَكُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿١٢٧﴾ قَالُوْا اِنَّا اِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُوْنَ ﴿١٢٨﴾ وَمَا نَنۢبِئُكُمْ مِّنَّا اِلَّا اَنْۢ اَمَّا  
 تَبَيَّنَتْ رَبَّنَا لَمَّا جَاةٌ تَنَارِيۡنَا اَفۡرَغۡ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِيۡنَ ﴿١٢٩﴾

يخبر تعالى عما توعد به فرعون لعنة الله السحرة لما آمنوا بموسى عليه السلام وما أظهره للناس من كيد ومكره في قوله ﴿إِن هذا لمر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ أي إن غلبت لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك كقوله في الآية الأخرى ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ وهو يعلم وكل من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل فإن موسى عليه السلام بمجرد ما جاء من مدين دعا فرعون إلى الله وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملته سلطنته فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر ممن اختار هو والملا من قومه وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل ولهذا قد كانوا من أحرص الناس على ذلك وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون . وموسى عليه السلام لا يعرف أحداً منهم ولا رآه ولا اجتمع به وفرعون يعلم ذلك وإنما قال هذا تستراً وتدليساً على رعاك دولته وجهلهم كما قال تعالى : ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ فإن قوماً صدقوه في قوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ من أجهل خلق الله وأضلمهم .

وقال السدي في تفسيره بإسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة في قوله تعالى : ﴿إن هذا لمر مكرتموه في المدينة﴾ قال : التقى موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق . قال الساحر لأتئين غدا بسحر لا يغلبه سحر فوالله لئن غلبتني لأؤمنن بك ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر إليها قالوا فلماذا قال ما قال ، وقوله ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ أي تجمعتوا أنتم وهو وتكون لكم دولة وصوله وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء وتكون الدولة والتصرف لكم ﴿فسوف تعلمون﴾ أي ما أصنع بكم ثم فسر هذا الوعيد بقوله ﴿لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف﴾ يعني يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس ﴿ثم لأصلبكنم أجمعين﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿في جذوع النخل﴾ أي على الجذوع .

قال ابن عباس وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون وقول السحرة ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أي قد تحققنا أنا إليه راجعون وعذابه أشد من عذابك ونكاله على ما تدعوننا إليه اليوم وما أكرهتنا عليه من السحر أعظم من نكالك فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله ولهذا قالوا ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً﴾ أي عمنا بالصبر على دينك والنيات عليه ﴿وتوفنا مسلمين﴾ أي متابعين لنبيك موسى عليه السلام وقالوا لفرعون ﴿فاقض ما أنت قاض وإنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ إنا أمنا بربنا ليفقر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى \* إنه من بات ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى \* ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى فكانوا في أول النهار سحرة ، فصاروا في آخره شهداء بررة ، قال ابن عباس وعبيد بن عمير وقتادة وابن جريج كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء .

وَقَالَ الْمَلَأَمِينَ قَوْمِ فَرَعُونَ اَنْۢ تَدْرُمُوْسِي وَتَقُوْمُوْا لِيُقْسِدُوْا فِى الْاَرْضِ وَيَدْرِكُوْا هٗمَّ الْهَمَّتِكَ قَالَ سَنَقِيْلُ اَبْنَاءَهُمْ وَنَسَجِيۡهِ

نِسَاءَهُمْ وَاِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُوْنَ ﴿١٣٠﴾ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ اَسْتَعِيۡنُوْا بِاللّٰهِ وَاَصْبِرُوْا اِنَّ الْاَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنۢ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهٖ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيۡنَ ﴿١٣١﴾ قَالُوْا اُوْذِيۡنَا مِنْ قَبْلِ اَنْۢ تَاْتِيَنَا وَمِنْۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَنِ رَبِّكُمْ

اَنْ يُّهْلِكَ عَذُوۡكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ كُمْ فِى الْاَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ ﴿١٣٢﴾

يخبر تعالى عما نمألا عليه فرعون وملؤه وما أضمره لموسى عليه السلام وقومه من الأذى والبغضة ﴿وقال الملا من قوم فرعون﴾ أي لفرعون ﴿أنذر موسى وقومه﴾ أي أنذعهم ليفسدوا في الأرض أي يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك يا لله العجيب صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه إلا إن فرعون وقومه هم المفسدون ولكن لا يشعرون ولهذا قالوا ﴿ويدرك وأهلك﴾ قال بعضهم الواو هاهنا حالية أي أنذره وقومه يفسدون في الأرض وقد ترك عبادتك؟ وقرأ ذلك أبي بن كعب وقد تركوك أن يعبدوك وأهلك حكاة ابن جرير ، وقال آخرون : هي عاطفة أي أنذعهم يصنعون من الفساد ما قد أقررتهم عليه وعلى ترك أهلك ، وقرأ بعضهم لإهلك أي عبادتك وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيره وعلى القراءة الأولى قال بعضهم : كان لفرعون إله يعبده قال الحسن البصري كان لفرعون إله يعبده في السر وقال في رواية أخرى كان له حنائة في عنقه معلقة يسجد لها . وقال السدي في قوله تعالى : ﴿ويدرك وأهلك﴾ وألته فيها زعم ابن عباس كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها فلذلك أخرج لهم السامري عجلا جسدا له خوار . فاجابهم فرعون فيما سألوه بقوله سقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وهذا أمر ثان بهذا الصنيع وقد كان نكل بهم قبل ولادة موسى عليه السلام حذراً من وجوده فكان خلاف ما رامه وضد ما قصده فرعون . وهكذا عمل في صنيعه أيضاً لما أراد إذلال بني إسرائيل وقهرهم فجاء الأمر على خلاف ما أراد : أعزهم الله وأذله وأرغم أنفه وأغرقه وجنوده . ولما صمم فرعون على ما ذكره من المساءة لبني إسرائيل ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا﴾ ووعدهم بالعاقبة وأن الدار ستصير لهم في قوله ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ قالوا أوذيتنا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾ أي قد فعلوا بنا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى ومن بعد ذلك فقال منها لهم على حالهم الحاضر وما يصيرون إليه في ثاني الحال ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾ الآية ، وهذا تخصيص لهم على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال لنقم .

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا

هَذِهِ وَإِنْ نُسِبَتْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عَنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾

يقول تعالى : ﴿ولقد أخذنا آل فرعون﴾ أي اختبرناهم وامتحانهم وابتليناهم ﴿بالسنين﴾ وهي سنين الجوع بسبب قلة الزروع ﴿ونقص من الثمرات﴾ قال مجاهد وهو دون ذلك وقال أبو إسحاق عن رجاء بن حيوة كانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة ﴿لعلهم يذكرون فإذا جاءتهم الحسنة﴾ أي من الخصب والرزق ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي هذا لنا بما نستحقه ﴿وإن تصيبهم سيئة﴾ أي جذب وقحط ﴿يطيئروا بموسى ومن معه﴾ أي هذا بسببهم وما جاءوا به ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ يقول مصائبهم عند الله ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ وقال ابن جريج عن ابن عباس قال ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ أي من قبل الله .

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ

الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَءَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٧٧﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ

الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى آتِنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ لِئِن كَشَفْتُمْ عَنَّْا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ ﴿١٧٨﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلِقَائِهِمْ يُنَكِّتُونَ ﴿١٧٩﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن تمرد قوم فرعون وعنهم وعنادهم للحق وإصرارهم على الباطل في قومه ﴿مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ يقولون أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها رددناها فلا نقلها منك ولا نؤمن بك ولا بما جئت به قال الله تعالى : ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ اختلفوا في معناه فعن ابن عباس في رواية كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار وبه قال الضحاك بن مزاحم ، وعن ابن عباس في رواية أخرى هو كثرة الموت وكذا قال

عطاء ، وقال مجاهد : الطوفان الماء والطاعون على كل حال . وقال ابن جرير : حدثنا ابن هشام الرقاعي ، حدثنا يحيى بن يمان حدثنا المنهال بن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن مينة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «الطوفان الموت» وكذا رواه ابن مردويه من حديث يحيى بن يمان ، وهو حديث غريب ؛ وقال ابن عباس في رواية أخرى : هو أمر من الله طاف بهم ثم قرأ ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾ وأما الجراد فمعروف مشهور وهو مأكول لما ثبت في الصحيحين عن أبي يعفور قال سألت عبد الله بن أبي أوفى عن الجراد فقال غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد وروى الشافعي وأحمد بن حنبل وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «أحلت لنا ميتتان ودمان : الحوت والجراد والكبد والطحال» ورواه أبو القاسم البيهقي عن داود بن رشيد عن سويد بن عبد العزيز عن أبي تمام الأيلي عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً مثله ، وروى أبو داود عن محمد بن الفرغ عن محمد بن زبرقان الأهوازي عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قال : سئل رسول الله ﷺ عن الجراد فقال «أكثر جنود الله لا أكله ولا أحرمه» وإنما تركه عليه السلام لأنه كان يعافه كما عافت نفسه الشريفة أكل الضب وأذن فيه . وقد روى الحافظ بن عساكر في جزء جمعه في الجراد من حديث أبي سعيد الحسن بن علي العدوي حدثنا نصر بن يحيى بن سعيد ، حدثنا يحيى بن خالد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ لا يأكل الجراد ولا الكلوئين ولا الضب من غير أن يحرمها أما الجراد فرجز وعذاب ؛ وأما الكلوئان فلقربها من البول ، وأما الضب فقال «أتخوف أن يكون مسخاً» ثم قال غريب لم أكتبه إلا من هذا الوجه ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتهي ويحبه ، فروى عبد الله بن دينار عن ابن عمر : أن عمر سئل عن الجراد فقال : ليت أن عندنا منه قفعة أو قفتين نأكله ، وروى ابن ماجه : حدثنا أحمد بن منيع عن سفيان بن عيينة عن أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال سمع أنس بن مالك يقول كان أزواج النبي ﷺ يتهادين الجراد على الأطباق ، وقال أبو القاسم البيهقي : حدثنا داود بن رشيد ، حدثنا بقية بن الوليد عن يحيى بن يزيد القنبري حدثني أبي عن صدي بن عجلان عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ «إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربها عز وجل أن يطعمها لحماً لا دم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشبهه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياخ» وقال غير : الشياخ الصوت ، وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا أبو يحيى هشام بن عبد الملك المزني ، حدثنا بقية بن الوليد حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي زهير التميري قال : قال رسول الله ﷺ «لا تقتاتوا الجراد فإنه جند الله الأعظم» غريب جداً . وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد﴾ قال : كانت تأكل مسامير أبوابهم وتدع الخشب ، وروى ابن عساكر من حديث علي بن زيد الخرائطي عن محمد بن كثير سمعت الأوزاعي يقول خرجت إلى الصحراء فإذا أنا برجل من جراد في السماء فإذا برجل راكب على جرادة منها وهو شاك في الحديد وكلما قال بيده هكذا مال الجراد مع يده وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها الدنيا باطل باطل ما فيها الدنيا باطل باطل ما فيها ، وروى الحافظ أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريري : حدثنا محمد بن الحسن بن زياد ، حدثنا أحمد بن عبد الرحيم أخبرنا وكيع عن الأعمش أنبأنا عامر قال : سئل شريح القاضي عن الجراد فقال : قبح الله الجرادة فيها خلقة سبعة جبابرة ، رأسها رأس فرس ، وعنقها عنق ثور ، وصدرها صدر أسد ، وجناحها جناح نسر ، ورجلاها رجل جمل ، وذنبها ذنب حية ، ويطنبا بطن عقرب ؛ وقدما عند قوله تعالى : ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاع لكم وللسيارة﴾ حديث حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة فاستقبلنا رجل جراد فجعلنا نضربه بالعصي ونحن نحمون ، فسألنا رسول الله ﷺ فقال «لا بأس بصيد البحر» وروى ابن ماجه عن هارون الحماني عن هشام بن القاسم عن زياد بن عبد الله بن علالته وعن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أنس وجابر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا دعا على الجراد قال «اللهم أهلك كباره واقتل صغاره وأفسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معاشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء» فقال له جابر يا رسول الله أتدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره ؟ فقال «إنما هو نثره حوت في البحر» قال هشام أخبرني زياد أنه أخبره من رآه ينثره الحوت قال من حقق ذلك إن السمك إذا باض في ساحل البحر فتضرب الماء عنه ويبدأ للشمس أنه يفسد كله جراداً طياراً . وقدما عند قوله ﴿إلا أسم أمثالكم﴾ حديث عمر رضي الله عنه أن الله خلق ألف أمة ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وأن أولها هلاكاً الجراد ، وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا يزيد بن المبارك حدثنا عبد الرحمن بن قيس حدثنا سلم بن سالم حدثنا أبو المغيرة الجوزجاني محمد بن مالك عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ «لا يباء مع السيف ولا الحناء مع الجراد» حديث غريب وأما القمل فعن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الخنطة وعنه أنه الدبا وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعن الحسن وسعيد بن جبير القمل دواب سود صغار ، وقال عبد

الرحمن بن زيد بن أسلم : القمل البراغيث ، وقال ابن جرير القمل جمع واحدتها قملة وهي دابة تشبه القمل تأكل الإبل فيها بلغني وهي التي عناها الأعشى بقوله :

قوم يعالج قملأ ابنأؤهم  
وسللا أجدأ وبأبأ موصدأ

قال : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة ، يزعم أن القمل عند العرب الحمان واحدتها حمانة وهي صغار القردان فوق القمقامة . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن حنبل الرازي ، حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال : لما أتى موسى عليه السلام فرعون قال له : أرسل معي بني إسرائيل فلم يرسلهم فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيئاً خافوا أن يكون عذاباً فقالوا لموسى : ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فأثبت لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبته قبل ذلك من الزروع والثمار والكلأ فقالوا : هذا ما كنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه على الكلأ ، فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقى الزرع ، فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل فداسوا وأحرزوا في البيوت فقالوا قد أحرزنا فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذي يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحي فلا يرد منها إلا ثلاثة أفضرة فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل . فبينما هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع فقال لفرعون ما تلقي أنت وقومك من هذا فقال وما عسى أن يكون كيد هذا فما أسوأ حتى كان الرجل يجلس إلى ذفته في الضفداع وهم أن يتكلم فيشب الضفدع في فيه ، فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفداع فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا وأرسل الله عليهم الدم فكانوا ما استقوا من الأنهار والآبار وما كان في أوعيتهم وجدوه دماً عبيطاً فشكوا إلى فرعون فقالوا إنا قد ابتلينا بالدم وليس لنا شراب فقال : إنه قد سحركم ، فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا وجدناه دماً عبيطاً فأتوه وقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، وقد روي نحو هذا عن ابن عباس والسدي وقتادة وغير واحد من علماء السلف أنه أخبر بذلك ؛ وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله ؛ فرجع عدو الله فرعون حين أمنت السحرة مغلوباً مغلولاً ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتهاذي في الشرفائع الله عليه الآيات فأخذه بالسنين وأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القمل ، ثم الضفداع ، ثم الدم ، آيات مفصلات ، فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الأرض ، ثم ركذ لا يقدر على أن يجرثوا ولا أن يعملوا شيئاً حتى جهدوا جوعاً فلما بلغهم ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لننكشف عنا الرجس لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيها بلغني حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومسكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى عليه السلام أمر أن يمشي إلى كتيب حتى يضربه بعصاه فمضى إلى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فانتال عليهم قملأ حتى غلب على البيوت والأطعمة ومنعهم النوم والقرار ، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفداع فملأت البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشف أحداً ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفداع قد غلبت عليه ، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فسأل ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً لا يستقون من يثر ولا نهر ولا يغترفون من إناه إلا عاد دماً عبيطاً . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور المروزي أنبأنا النضر أنبأنا جابر بن يزيد عن عكرمة عن عبيد الله بن عمرو قال : لا تقتلوا الضفداع فإنها لما أرسلت على قوم فرعون انطلق ضفدع منها فوقع في تنور فيه نار يطلب بذلك مرضاة الله فأبدلهن الله من هذا أبرد شيء يعلمه من الماء وجعل نقيتهن التسبيح ، وروي من طريق عكرمة عن ابن عباس نحوه ، وقال زيد بن أسلم : يعني بالدم الرعاف . رواه ابن أبي حاتم .

فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا أَلَمْ يَسْأَلْهُمْ رَبُّكَ

أَلْحَسَنَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ يَمَاصِبُوا أَوْ دَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فَرَعُونَ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٧٧﴾

يخبر تعالى أنهم لما اعتوا وغردوا مع ابتلائه إياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة انتقم منهم بإغراقه إياهم في اليم وهو البحر الذي فرقه موسى فجاوزه وبنو إسرائيل معه ، ثم ورده فرعون وجنوده على أثرهم فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها ، وأخبر تعالى أنه أورث القوم الذين كانوا يستضعفون وهم بنو إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها كما قال تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَمْجُرُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ \* كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ وعن الحسن البصري وقناة في قوله ﴿مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ يعني الشام ، وقوله ﴿ومتت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾ قال مجاهد وابن جرير وهي قوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَمْجُرُونَ﴾ وقوله ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ أي وخربنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع ﴿وما كانوا يعرشون﴾ قال ابن عباس ومجاهد ﴿يعرشون﴾ يبنون .

وَجَعَلْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ يَلْبِغُوا فِي الْبَحْرِ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكِفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا لِمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا لَهُم آلِهَةٌ

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعَاتُ هِمِّهِمْ وَيَطِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾

يخبر تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا ﴿فأتوا﴾ أي فمروا ﴿على قوم يمكفون على أصنامهم﴾ .

قال بعض المفسرين كانوا من الكنعانيين وقيل كانوا من لحم قال ابن جرير : وكانوا يعبدون أصناماً على صور البقر فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك فقالوا ﴿يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ أي تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل ﴿إن هؤلاء متبر ما هم فيه﴾ أي هالك ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ وروى الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسير هذه الآية من حديث محمد بن إسحاق وعقيل ومعمار كلهم عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين قال وكان للكفار سدرة يمكفون عندها ويلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمرنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال «قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون» وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين فمرنا بسدرة فقلت يا نبي الله : اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينطون سلاحهم بسدرة ويمكفون حولها ، فقال النبي ﷺ «الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إنكم تكونون سنن من قبلكم» أورده ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده مرفوعاً .

قَالَ أَغْبِرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

يذكرهم موسى عليه السلام نعم الله عليهم من إنقاذهم من أسر فرعون وقهره وما كانوا فيه من الهوان والذلة وما صاروا إليه من العزة والاشفاء من عدوهم والنظر إليه في حال هوانه وهلاكه وغرقه ودماره وقد تقدم تفسيرها في البقرة .

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَمَمْنَا بِهَا عَشْرَ فِتْنٍ مِمَّا مِثَّتْ رِيهَ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ

اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

يقول تعالى ممثلاً على بني إسرائيل بما حصل لهم من الهداية بتكليمه موسى عليه السلام وإعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفصيل شرعهم فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة قال المفسرون فصامها موسى عليه السلام وطواها فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة فأمره الله تعالى أن يكمل بعشر أربعين وقد اختلف المفسرون في هذه العشر ما هي فالأكثر على أن الثلاثين هي ذو القعدة والعشر عشروني الحجة قاله مجاهد ومسروق وابن جريج وروي عن ابن عباس وغيره فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام وفيه أكمل الله الدين لمحمد ﷺ كما قال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فلما تم الميقات وعزم موسى على الذهاب إلى الطور كما قال تعالى : ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيتكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ الآية فحينئذ استخلف موسى على بني إسرائيل أخاه هارون ووصاه بالإصلاح وعدم الإفساد وهذا تنبيه وتذكير وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله له وجاهة وجلالة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء .

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ وَلَٰكِن نُنظِرُ

إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ

قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾

يغير تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميقات الله تعالى وحصل له التكليم من الله سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال ﴿رب أريني إليك قال لن تراني﴾ وقد أشكل حرف لن ههنا على كثير من العلماء لأنها موضوعة لنفي التأييد فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا أضعف الأقوال لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة كما سنوردها عند قوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وقوله تعالى إخباراً عن الكفار ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ وقيل إنها لنفي التأييد في الدنيا جمعاً بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة وقيل إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى : ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ وقد تقدم ذلك في الأنعام وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام ويا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولهذا قال تعالى : ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً﴾ قال أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا الأعمش عن رجل عن أنس عن النبي ﷺ قال لما تجلّى ربه للجبل أشار بأصبعه فجعله دكاً وأرانا أبو إسماعيل بأصبعه السبابة ، هذا الإسناد فيه رجل مبهم لم يسم ، ثم قال حدثني المثني حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد عن ليث عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً﴾ قال : هكذا بأصبعه ، ووضع النبي ﷺ أصبعه الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر ، فساخ الجبل هكذا وقع في هذه الرواية حماد بن سلمة عن ليث عن أنس والمشهور حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس كما قال ابن جرير حدثني المثني حدثنا هذبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس كما قال ابن جرير حدثني المثني حدثنا هذبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً﴾ قال : ووضع الإبهام قريباً من طرف خنصره ، قال : فساخ الجبل قال حميد لثابت يقول هكذا فرغ ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقول رسول الله ﷺ ويقول أنس وأنا أكتمه ؟ وهكذا رواه الإمام أحمد في مسنده حدثنا أبو المثني معاذ بن معاذ العنبري حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله ﴿فلما تجلّى ربه للجبل﴾ قال : قال هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر قال أحمد أرانا معاذ فقال له حميد الطويل ما تريد إلى هذا يا أبا محمد ؟ قال فضرب صدره ضربة شديدة وقال من أنت يا حميد وما أنت يا أحمد ؟ يجديني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ يقول ما تريد إليه وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق عن معاذ بن معاذ وعن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة ثم قال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد وهكذا رواه الحاكم في مستدرکه من طرق عن حماد بن سلمة وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه أبو محمد الحسن بن محمد بن علي الخلال عن محمد بن علي بن سويد عن أبي القاسم البغوي عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة فذكره وقال هذا إسناد صحيح لا علة فيه ، وقد رواه داود بن المحجر عن شعبة عن

ثابت عن أنس مرفوعاً وهذا ليس بشيء لأن داود بن المجر كذاب رواه الحافظان أبو القاسم الطبراني وأبو بكر بن مردويه من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعاً بنحوه وأسنده ابن مردويه من طريق ابن اليلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً ولا يصح أيضاً رواه الترمذي وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم . وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿ فلما تجلجلى ربه للجبل ﴾ قال ما تجلجلى منه إلا قدر الخنصر ﴿ جعله دكاً ﴾ قال تراباً ﴿ وخر موسى صعقاً ﴾ قال مغشياً عليه رواه ابن جرير وقال قتادة ﴿ وخر موسى صعقاً ﴾ قال ميتاً وقال سفيان الثوري سناخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه وقال سنيد عن حجاج بن محمد الأعور عن أبي بكر الهذلي ﴿ فلما تجلجلى ربه للجبل جعله دكاً ﴾ انقمر فدخل تحت الأرض فلا يظهر إلى يوم القيامة وجاء في بعض الأخبار أنه سناخ في الأرض فهو يهوي فيها إلى يوم القيامة رواه ابن مردويه وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان الكتاني حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله عن الجلد بن أيوب عن معاوية بن قره عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال ﴿ لما تجلجلى الله للجبال طارت لعظمته ستة أجيل فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ، بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقع بمكة حراء وثبير وثور و هذا حديث غريب بل منكر وقال ابن أبي حاتم ذكر عن محمد بن عبد الله بن أبي البلع حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا عثمان بن حصين بن العلاف عن عروة بن رويم قال كانت الجبال قبل أن يتجلجلى الله لموسى على الطور صهاً ملساء فلما تجلجلى الله لموسى على الطور دك وتفطرت الجبال فصارت الشقوق والكهوف وقال الربيع بن أنس ﴿ فلما تجلجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ﴾ وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكاك وقال بعضهم جعله دكاً أي فنته وقال مجاهد في قوله ﴿ ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ﴾ فإنه أكبر منك وأشد خلقاً ﴿ فلما تجلجلى ربه للجبل جعله ﴾ فنظر إلى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل فدك على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقاً وقال عكرمة جعله دكاً قال نظر الله إلى الجبل فصار صحراً تراباً وقد قرأ هذه القراءة بعض القراء واختارها ابن جرير ، وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه ابن مردويه والمعروف أن الصعق هو الغشي ها هنا كما فسره ابن عباس وغيره لا كما فسره قتادة بالموت وإن كان ذلك صحيحاً في اللغة كقوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ فإن هناك قرينة تدل على الموت كما أن هنا قرينة تدل على الغشي . وهي قوله ﴿ فلما أفاق ﴾ والإفاقة لا تكون إلا عن غشي ﴿ قال سبحانه ﴾ تزيهاً وتعظيماً وإجلالاً أن يراه أحد في الدنيا إلا مات . وقوله ﴿ تبّت إليك ﴾ قال مجاهد أن أسألك الرؤية ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ قال ابن عباس ومجاهد من بني إسرائيل واختاره ابن جرير وفي رواية أخرى عن ابن عباس ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ أنه لا يراك أحد وكذا قال أبو العالية قد كان قبته مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة ، وهذا قول حسن له اتجاه وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره ها هنا أثراً طويلاً فيه غرائب وعجائب عن محمد بن إسحاق بن يسار وكأنه تلقاه من الإسرائيليات والله أعلم ؛ وقوله ﴿ وخر موسى صعقاً ﴾ فيه أبو سعيد وأبو هريرة عن النبي ﷺ ، فأما حديث أبي سعيد فأسنده البخاري في صحيحه ها هنا فقال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان بن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه ، وقال يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطم وجهي قال « ادعوه » فدعوه قال « لم لطمت وجهه ؟ » قال يا رسول الله إني مررت باليهودي فسمعتة يقول والذي اصطفى موسى على البشر قال وعلى محمد ؟ قال فقلت وعلى محمد وأخذتني غضبية فلطمته فقال « لا تخبروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصمفة الطوره وقد رواه البخاري في أماكن كثيرة من صحيحه ومسلم في أحاديث الأنبياء من صحيحه وأبو داود في كتاب السنة من سننه من طرق عن عمرو بن يحيى بن عمار بن أبي الحسن المازني الأنصاري المدني عن أبيه عن أبي سعيد سعد بن مالك بن منان الخدري . وأما حديث ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمداً على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فغضب المسلم على اليهودي فلطمه فأتى اليهودي رسول الله ﷺ فسأله فأخبره فدعاه رسول الله ﷺ فاعترف بذلك فقال رسول الله ﷺ « لا تخبروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى ممسك بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل » أخرجه في الصحيحين من حديث الزهري به وقد روى الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا رحمه الله أن الذي لطم اليهودي في هذه القضية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولكن تقدم في الصحيحين أنه رجل من الأنصار وهذا هو أصح وأصح والله أعلم والكلام في قوله عليه السلام « لا تخبروني على موسى » كالكلام على قوله « لا تفضلوني

على الأنبياء ولا على يونس بن متى، قيل من باب التواضع وقيل قبل أن يعلم بذلك، وقيل نهي أن يفضل بينهم على وجه الغضب والتعصب وقيل على وجه القول بمجرد الرأي والشهية والله أعلم. وقوله ﴿فإن الناس يصعقون يوم القيامة﴾ الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة يحصل أمر يصعقون منه والله أعلم به. وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء وتجلي للخلائق الملك الديان كما صعق موسى من تجلي الرب تبارك وتعالى ولهذا قال عليه السلام «فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور» وقد روى القاضي عياض في أوائل كتابه الشفاء بسنده عن محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا قتادة حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ» ثم قال ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى انتهى ما قاله وكأنه صحح هذا الحديث وفي صحته نظر ولا تخلو رجال إسناده من مجاهيل لا يعرفون ومثل هذا إنما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي إلى متناه والله أعلم.

قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَخْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسْلَتِي وَبِكَلْبِي فَخَدُّ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُمَا بِأَخْذِهَا بِحَسَنٍ أَسْوَرِكُ

### دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٥﴾

يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه على أهل زمانه برسالاته تعالى وبكلامه ولا شك أن محمداً ﷺ سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ولهذا اختصه الله تعالى بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تستمر شريعته إلى قيام الساعة وأتباعه أكثر من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين كلهم وبعده في الشرف والفضل إبراهيم الخليل عليه السلام ثم موسى بن عمران كليم الرحمن عليه السلام ولهذا قال الله تعالى له: ﴿فخذ ما آتيتك﴾ أي من الكلام والمناجاة ﴿وكن من الشاكرين﴾ أي على ذلك ولا تطلب ما لا طاقة لك به ثم أخبر تعالى أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء قيل كانت الألواح من جوهر وإن الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكاماً مفصلة مبينة للحلال والحرام وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس﴾ وقيل الألواح أعطيها موسى قبل التوراة فانه أعلم، وعلى كل تقدير فكانت كالتعويض له عما سأل من الرؤية ومنع منه والله أعلم، ﴿وقوله فخذها بقوة﴾ أي بعزم على الطاعة ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ قال سفيان بن عيينة حدثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال أمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأشد ما أمر قومه. وقوله ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ أي سترون عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار والتباب قال ابن جرير وإنما قال ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ كما يقول القائل لمن يخاطبه سأريك غداً إلى ما يصير إليه حال من خالف أمري على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره، ثم نقل معنى ذلك عن مجاهد والحسن البصري وقيل معناه ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ أي من أهل الشام وأعطيكم إياها وقيل منازل قوم فرعون والأول أولى والله أعلم لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه والله أعلم.

سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئًا رَشِيدًا لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئًا سَبِيلًا لِيَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١١٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾

يقول تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ أي سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي ويتكبرون على الناس بغير حق، أي كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ وقال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ وقال بعض السلف: لا ينال العلم حيي ولا مستكبر، وقال آخر: من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل

الجهل أبداً ، وقال سفيان بن عيينة في قوله : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ قال : أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي ، قال ابن جرير : وهذا يدل على أن هذا خطاب لهذه الأمة ، قلت ليس هذا بلازم لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ولا فرق بين أحد وأحد في هذا ، والله أعلم . وقوله ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ كما قال تعالى : ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ وقوله ﴿وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً﴾ أي وإن ظهر لهم سبيل الرشداً أي طريق النجاة لا يسلكوها ، وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلاً ، ثم علل مصيرهم إلى هذه الحال بقوله ﴿ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ أي كذبت بها قلوبهم ﴿وكانوا عنها غافلين﴾ أي لا يعلمون شيئاً مما فيها ، وقوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم﴾ أي من فعل منهم ذلك واستمر عليه إلى الممات حبط عمله ، وقوله ﴿وهل يجوزون إلا ما كانوا يعملون﴾ أي إنما نجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها إن خيراً فخير وإن شراً فشر وكما تدين تدان .

وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُلُودِهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خُورٌ أَلْوَبَرًا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَكَانَ سَقَطٌ فِي آيِدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَّضَلُوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرَحْمَنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

يغير تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري ، من حلي القبط الذي كانوا استعاروه منهم فشكل لهم منه عجلاً ، ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام ، فصار عجلاً جسداً له خوار : والخوار صوت البقر ، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى ليقات ربه تعالى فأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور ، حيث يقول تعالى إخباراً عن نفسه الكريمة ﴿قال فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ وقد اختلف المفسرون في هذا العجل هل صار لحمياً ودماً له خوار أو استمر على كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر على قولين والله أعلم . ويقال إنهم لما صوت لهم العجل رقصوا حوله وافتنوا به وقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى قال الله تعالى : ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً﴾ وقال في هذه الآية الكريمة ﴿لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً﴾ ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل وذهولهم عن خالق السموات والأرض ورب كل شيء ، ومليكه أن عبدوا معه عجلاً جسداً له خوار لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى خير ولكن غطى على أعين بصائرهم عمى الجهل والضلال كما تقدم من رواية الإمام أحمد وأبي داود عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ ﴿حكى الشيء يعمي ويصم﴾ وقوله ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ أي ندموا على ما فعلوا ﴿ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا﴾ وقرأ بعضهم لئن لم ترحمنا بالثاء المثناة من فوق ربنا منادى ويغفر لنا ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ أي من المالكين وهذا اعتراف منهم بذنبيهم والتجاء إلى الله عز وجل .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقُوا الْأَلْوَابَ وَأَخَذَتْ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾

يغير تعالى أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسف قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب ﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي﴾ يقول بش ما صنعتم في عبادة العجل بعد أن ذهبت وتركتكم ، وقوله ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ يقول استعجلتم مجيئي إليكم وهو مقدر من الله تعالى وقوله ﴿والألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾ قيل كانت الألواح من زمرد وقيل من ياقوت وقيل من برد وفي هذا دلالة على ما جاء في الحديث (ليس الخير كالمعانيبة ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً . وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء وهو جدير بالرد وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة وقوله ﴿وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾ خوفاً أن يكون قد قصر في نهيهم كما قال في الآية الأخرى ﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمري﴾

قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي \* إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولتي وقال ها هنا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين \* أي لا تسوتني سياقهم وتجعلني معهم وإنما قال : ابن أم ليكون أرق وأنجع عنده وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه فلما تحقق موسى عليه السلام براءة ساحة هارون عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴾ فعند ذلك ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾ وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ «يرحم الله موسى ليس المعاین كالمخبر أخبره ربه عز وجل أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح فلما رآهم وعانيتهم ألقى الألواح» .

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاءٌ لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا

السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَّوْاْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٧﴾

أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل فهو أن الله تعالى : لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضاً ، كما تقدم في سورة البقرة ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم . ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلاً وصغاراً في الحياة الدنيا ، وقوله ﴿ وكذلك نجزي المفتريين ﴾ نائلة لكل من افترى بدعة فإن ذل البدعة ومخالفة الرشد متصلة من قلبه على كفتيه ، كما قال الحسن البصري : إن ذل البدعة على أكتافهم وإن هملجت بهم البغلات وطفقت بهم البراذين : وهكذا روى أيوب السخيتاني عن أبي قلابة الجرمي أنه قرأ هذه الآية ﴿ وكذلك نجزي المفتريين ﴾ فقال : هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة ، وقال سفيان بن عيينة : كل صاحب بدعة ذليل ، ثم نبه تعالى عباده وأرشدهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق ، ولهذا عقب هذه القصة بقوله ﴿ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك ﴾ أي يا محمد يا رسول التوبة ونبي الرحمة ﴿ من بعدها ﴾ أي من بعد تلك الفعلة ﴿ لغفور رحيم ﴾ . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبان حدثنا قتادة عن عذرة عن الحسن العربي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن ذلك يعني عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها فتلا هذه الآية ﴿ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ فتلاها عبد الله عشر مرات فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها .

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ﴿١٥٨﴾ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُم لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٩﴾

يقول تعالى : ﴿ ولما سكت ﴾ أي سكن ﴿ عن موسى الغضب ﴾ أي غضبه على قومه ﴿ أخذ الألواح ﴾ أي التي كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل غيرة لله وغضبا له ﴿ وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ يقول كثير من المفسرين إنها لما ألقاها تكسرت ثم جمعها بعد ذلك ولهذا قال بعض السلف فوجد فيها هدى ورحمة ، وأما التفصيل فذهب وزعموا إن رضاها لم يزل موجودا في خزائن الملوك لبني إسرائيل إلى الدولة الإسلامية والله أعلم بصحة هذا وأما الدليل الواضح على أنها تكسرت حين ألقاها وهي من جوهر الجنة فقد أخبر تعالى أنه لما أخذها بعد ما ألقاها وجد فيها ﴿ هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ ضمن الرهبة معنى الخضوع ، ولهذا عداها باللام . وقال قتادة : في قوله تعالى : ﴿ أخذ الألواح ﴾ قال رب إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فأجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون أي آخرون في الخلق سابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظرا حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئا لم يعطه أحد من الأمم قال رب اجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلون الأعداء الكذاب فأجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في

الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها ، وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فأكلتها وان ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطيور وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم قال رب فاجعلهم أمي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمئة رب اجعلهم أمي قال تلك أمة أحمد . قال رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفوعون والمشفوع لهم فاجعلهم أمي قال تلك أمة أحمد . قال قتادة فذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال اللهم اجعاني من أمة أحمد .

وَإِخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا نَايِبُونَ ﴿١٥٦﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية ، كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً فاختار سبعين رجلاً فبرزهم ليدعوا ربهم وكان فيما دعوا الله أن قالوا اللهم أعطنا ما لم تعطه أحداً قبلاً ولا تعطه أحداً بعدنا ، فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة ﴿قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾ الآية ، وقال السدي : إن الله أمر موسى أن يأتيه في ثلاثين من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ووعدهم موعداً ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً﴾ على عينيه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا ﴿لن نؤمن لك﴾ يا موسى ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ فإنك قد كلمته فأرناهُ ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾ . وقال محمد بن إسحاق : اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخبز فالخير ، وقال انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا بإذنه منه وعلم ، فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى : اطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهة موسى نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه يفعل ولا تفعل فلما فرغ إليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا : يا موسى ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ فأخذتهم الرجفة ﴿وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم فماتوا جميعاً﴾ ، فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾ قد سفهوا ، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل .

وقال سفيان الثوري : حدثني أبو إسحاق عن عمارة بن عبيد السلولي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : انطلق موسى وهارون وشبير وشبير فانطلقوا إلى سفح جبل فقام هارون على سرير فتوفاه الله عز وجل ، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له : أين هارون ؟ قال : توفاه الله عز وجل ، قالوا : أنت قتلتهم حسدنا على خلقه ولينه أو كلمة نحوها قال : فاختاروا من شئتهم قال : فاختاروا سبعين رجلاً قال : فذلك قوله تعالى ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً﴾ فلما انتهوا إليه قالوا : يا هارون من قتلتك ؟ قال : ما قتلتني أحد ولكن توفاني الله ، قالوا : يا موسى لن نعصى بعد اليوم فأخذتهم الرجفة قال فجعل موسى يرجع ميمناً وشبالاً وقال : يارب ﴿لو شئت أهلكتهم من قبلي وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ﴿قال : فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم هذا أثر غريب جداً وعمارة بن عبيد هذا لا أعرفه ، وقد رواه شعبة عن أبي إسحاق عن رجل من بني سلول عن علي فذكره . وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جرير : إنهم أخذتهم الرجفة لأنهم لم يزالوا قومهم في عبادتهم العجل ولا نهوم ، ويتوجه هذا القول بقول موسى ﴿أهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ وقوله ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي ابتلاؤك واختبارك وامتحانك ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة وأبو العالية والربيع بن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف ، ولا معنى له غير ذلك ، يقول إن الأمر إلا أمرك وإن الحكم إلا لك فما شئت كان ، تضل من تشاء وتهدي من تشاء ، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن

هديت ولا معطي لمن منعت ولا مانع لما أعطيت ، فالملك كله لك والحكم كله لك ، لك الخلق والأمر . وقوله ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ الغفر هو الستر وترك المؤاخذه بالذنب والرحمة إذا قرنت مع الغفر يراد بها أن لا يوقعه في مثله في المستقبل ﴿وأنت خير الغافرين﴾ أي لا يغفر الذنب إلا أنت ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة﴾ الفصل الأول من الدعاء لدفع المحذور وهذا لتحصيل المقصود ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة﴾ أي أوجب لنا وثابت لنا فيها حسنة وقد تقدم تفسير الحسنة في سورة البقرة ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي تبنا ورجعنا وأتينا إليك ، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وأبو العالية والضحاك وإبراهيم التيمي والسدي وقتادة وغير واحد وهو كذلك لغة ، وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن علي قال : إنما سميت اليهود لأنهم قالوا ﴿إنا هدنا إليك﴾ جابر هو ابن يزيد الجعفي ضعيف .

قَالَ عَدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَفَسَاكَتْهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

### وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى مجيباً لنفسه في قوله ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ الآية ، قال ﴿عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء﴾ أي أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد ، ولي الحكمة والعدل في كل ذلك سبحانه لا إله إلا هو ، وقوله تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ آية عظيمة الشمول والعموم ، كقوله تعالى إخباراً عن حملة العرش ومن حوله ، أنهم يقولون ﴿ربنا الجشعي ، حدثنا جندب هو ابن عبد الله الجبلي رضي الله عنه ، قال : جاء أعرابي فأتاه راحلته ثم علقها ثم صلى خلف رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلق عقلاها ثم ركبها ثم نادى اللهم ارحمني وعمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً ، فقال رسول الله ﷺ «أتقولون هذا أضل أم بعيره ألم تسمعوا ما قال ؟» قالوا بل قال : «لقد حظرت رحمة واسعة إن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق جنبا وإنساها وبها تمها وأخر عنده تسعاً وتسعين رحمة أتقولون هو أضل أم بعيره ؟» رواه أحمد وأبو داود ، عن علي بن نصر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ، وقال الإمام أحمد وأبو داود ، عن علي بن نصر عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا يحيى بن سعيد عن سليمان عن أبي عثمان عن سلمان عن النبي ﷺ قال «إن الله عز وجل مائة رحمة فمنا رحمة يتراحم بها الخلق وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة ، تفرد بإخراجه مسلم ، فرواه من حديث سليمان هو ابن طرخان وداود بن أبي هند ، كلاهما عن أبي عثمان واسمه عبد الرحمن بن مل عن سلمان هو الفارسي عن النبي ﷺ ، وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «إن لله مائة رحمة عنده تسعة وتسعون وجعل عندكم واحدة تترامحون بها بين الجن والإنس وبين الخلق فإذا كان يوم القيامة ضمها إليه» تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ «لله مائة رحمة فقسّم منها جزءاً واحداً بين الخلق به يتراحم الناس والوحش والطير» ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الأعمش ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا سعد أبو غيلان الشيباني عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن صلة بن زفر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الفاجر في دينه الأحق في معيشته ، والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الذي قد محشته النار بذنبه ، والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتناول لها إبليس رجاء أن تصيبه» هذا حديث غريب جداً وسعد هذا لا أعرفه ، وقوله ﴿فساكتها للذين يتقون﴾ الآية ، يعني فسأوجب حصول رحمتي مئة مني وإحساناً إليهم كما قال تعالى : ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ وقوله ﴿للذين يتقون﴾ أي سأجعلها للمتصفيين بهذه الصفات ، وهم أمة محمد ﷺ ﴿الذين يتقون﴾ أي الشرك والعظام من الذنوب قوله ﴿ويؤتون الزكاة﴾ قيل زكاة النفوس ، وقيل الأموال ويحتمل أن تكون عامة لها ، فإن الآية مكية ﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ أي يصدقون .

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي

كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَأَلْزِمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ نُفُوسَهُمْ فَأَنْبَسُوا عَلَيْهِمْ أَصْوَابَهُمْ وَمَنْزِلُهَا سَعِيدٌ مُبِينٌ ﴿١٥٧﴾

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء بشروا أمهم ببعثه وأمرهم بمتابعته ولم تنزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم وأخبارهم . كما روى الإمام أحمد حدثنا إسماعيل عن الجريري عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الأعراب قال جئت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ فلما فرغت من بيعي قلت لألفين هذا الرجل فلا سمعن منه قال فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتمهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجل الفتيان وأحسنها فقال رسول الله ﷺ «أشذك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي» فقال برأسه هكذا أي لا فقال ابنه أي والذي أنزل التوراة إننا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فقال وأقيموا اليهودي عن أخيكم» ثم تولى كفه والصلاة عليه هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس . وقال الحاكم صاحب المستدرک أخبرنا محمد بن عبد الله بن إسحاق البغوي حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن إدريس حدثنا عبد الله بن إدريس عن شرحبيل بن مسلم عن أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي قال بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام فخرجنا حتى قدمنا الغوطة يعني غوطة دمشق فزلنا على جبلية بن الأيهم الغساني فدخلنا عليه فإذا هو على سرير له فأرسل إلينا برسوله نكلمه فقلنا والله لا نكلم رسولاً وإنما بعثنا إلى الملك ، فإن أذن لنا كلمناه وإلا لم نكلم الرسول فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك قال : فأذن لنا فقال : تكلموا فكلمه هشام بن العاص ودعاه إلى الإسلام فإذا عليه ثياب سود فقال له هشام وما هذه التي عليك ؟ فقال لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام قلنا وبجلسك هذا والله لناخذنه منك ولناخذنك الملك الأعظم إن شاء الله ، أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ قال : لستم بهم بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل فكيف صومكم ؟ فأخبرناه ، فملء وجهه سواداً فقال : قوموا وبعث معنا رسولاً إلى الملك فخرجنا حتى إذا كنا قريباً من المدينة قال لنا الذي معنا . إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك فإن شتم حملناكم على براديين وبغال ، قلنا والله لا ندخل إلا عليها فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك فأمرهم أن ندخل على رواحلتنا ، فدخلنا عليها متقلدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة له فأنخنا في أصلها وهو ينظر إلينا ، فقلنا لا إله إلا الله والله أكبر فانه لم يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح ، قال : فأرسل إلينا لبس لكم أن تجهروا علينا بدنيكم ، وأرسل إلينا أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقة من الروم وكل شيء في مجلسه أحمر وما حوله حمره وعليه ثياب من الحرمة ، فدنوننا منه فضحك فقال : ما عليكم لو جئتموني بتحييتكم فيها بينكم ؟ وإذا عنده رجل فصيح بالعربية كثير الكلام فقلنا إن تحيتنا فيها بيننا لا تحل لك وتحيتك التي تحيا بها ، لا يحل لنا أن نحيك بها قال كيف تحيتكم فيها بينكم ؟ قلنا السلام عليكم قال فكيف تحيون ملككم قلنا بها قال : فكيف يرد عليكم ؟ قلنا بها ، قال فما أعظم كلامكم ؟ قلنا لا إله إلا الله والله أكبر فلما تكلمنا بها والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها قال فهذه الكلمة التي قلتوها حيث انتفضت الغرفة أكلها قلموها في بيوتكم انتفضت عليكم غرفكم ؟ قلنا لا ، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك ، قال : لوددت أنكم كلما قلمتم انتفض كل شيء عليكم وإني قد خرجت من نصف ملكي قلنا لم ؟ قال لأنه كان أيسر لشأنا وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة وأنها تكون من حيل الناس ، ثم سألنا عما أراد فأخبرناه ، ثم قال كيف صلاتكم وصومكم ؟ فأخبرناه ، فقال : قوموا فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير فأقمنا ثلاثاً فأرسل إلينا ليلاً فدخلنا عليه فاستعاد قولنا فأعدناه ، ثم دعا بشيء كهية الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح بيتاً وقلنا فاستخرج «حريرة سوداء فنشرناها فإذا فيها صورة حمراء ، وإذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الألتين لم أر مثل طول عنقه ، وإذا ليست له لحية وإذا له صفيرتان أحسن ما خلق الله فقال : أتعرفون هذا ، قلنا لا قال : هذا آدم عليه السلام وإذا هو أكثر الناس شعراً ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها صورة بيضاء وإذا له شعر كشمع الققط أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا نوح عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء وإذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طويل الخد أبيض اللحية كأنه يتسم فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا قال : هذا إبراهيم عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فإذا فيه صورة بيضاء وإذا والله رسول الله ﷺ فقال أتعرفون هذا ؟ قلنا نعم هذا محمد رسول الله ﷺ قال : وبكينا قال : والله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس وقال والله إنه هو قلنا نعم إنه هو كأنك تنظر إليه فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال : أما إنه كان آخر البيوت ولكني عجلته

لكم لأنظر ما عندكم ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة آدماء سحباء وإذا رجل جعد ققط غائر العينين حديد النظر عابس مراكب الأسنان متقلص الشفة كأنه غضبان فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا موسى عليه السلام وإلى جنبه صورة تشبهه إلا أنه مدهان الرأس عريض الجبين في عينيه نبل فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا قال : هذا هارون بن عمران عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كأنه غضبان فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا لوط عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة أفنى خفيف العارضين حسن الوجه فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا إسحاق عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة تشبه إسحاق إلا أنه على شفته خال فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا يعقوب عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه أفنى الأنف حسن القامة يعلو وجهه نور يعرف في وجهه الخشوع يضرب إلى الحمرة قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا إسماعيل جد نبيكم ﷺ ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة كصورة آدم كان وجهه الشمس فقال هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا يوسف عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة متقلد سيفاً فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا داود عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة رجل ضخم الأليتين طويل الرجلين راكب فرساً فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا سليمان بن داود عليها السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء وإذا شاب شديد سواد اللحية كثير الشعر حسن العينين حسن الوجه فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا عيسى بن مريم عليه السلام ، قلنا من أين لك هذه الصور ؟ لأنا نعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء عليهم السلام لأننا رأينا صورة نينا عليه السلام مثله ، فقال : إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده فأنزل عليه صورهم ، فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال ، ثم قال : أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي وبني كنت عبداً لأشركم ملكة حتى أموت ، ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحدثناه بما أرانا وبما قال لنا وما أجازنا ، قال فبكي أبو بكر ؛ وقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل ثم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يمدون نعت محمد ﷺ عندهم ، وهكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة عن الحاكم إجازة فذكره وإسناده لا بأس به . وقال ابن جرير : حدثنا المثنى حدثنا عثمان بن عمر حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِراً وَنَذِيراً ﴾ وحرزاً للاميين أنت عبدي ورسولي اسمك المتوكلي ليس بفظ ولا غليظ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به قلوباً غلظاً وأذاناً صماً وأعيناً عمياً ، قال عطاء : ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً إلا أن كعباً قال بلغته : قال قلوباً غلظاً وأذاناً صمومياً وأعيناً عمومياً ، وقد رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي فذكر بإسناده نحوه ، وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، وذكر حديث عبد الله بن عمرو ، ثم قال : ويقع في كلام كثير من السلف إطلاق التوراة على كتب أهل الكتاب ، وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشبه هذا والله أعلم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا محمد بن إدريس بن وراق بن الحميدي ، حدثنا محمد بن عمر بن إبراهيم من ولد جبير بن مطعم قال : حدثني أم عثمان بنت سعيد وهي جدتي عن أبيها سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه محمد بن جبير عن أبيه محمد جبير بن مطعم قال : خرجت تاجراً إلى الشام فلما كنت بأدنى الشام لقيني رجل من أهل الكتاب فقال : هل عندكم رجل نبياً ؟ قلت نعم ، قال : هل تعرف صورته إذا رأيتها ؟ قلت نعم ، فأدخلني بيتاً فيه صور فلم أر صورة النبي ﷺ ، فبينما أنا كذلك إذ دخل رجل منهم علينا فقال : فيما أنتم ؟ فأخبرناه فذهب بنا إلى منزله فساعة ما دخلت نظرت إلى صورة النبي ﷺ وإذا رجل أخذ بعقب النبي ﷺ قلت : من هذا الرجل القابض على عقبه ؟ قال إنه لم يكن نبي إلا كان بعده نبي إلا هذا النبي فإنه لا نبي بعده وهذا الخليفة بعده وإذا صفة أبي بكر رضي الله عنه وقال أبو داود : حدثنا عمر بن حفص أبو عمرو الضرير حدثنا حماد بن سلمة أن سعيد بن أبي بكر الجريدي أخبرهم عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته فقال له عمر : هل تجدني في الكتاب ؟ قال نعم ، قال : كيف تجدني ؟ قال : أجلك قرنا فرقع عمر الدرة وقال : قرن مه ؟

قال : قرن حديد أمير شديد ، قال : فكيف تجد الذي بعدي ؟ قال أجد خليفة صالحاً غير أنه يؤثر قرابته ، قال عمر يرحم الله عثمان ثلاثاً قال : كيف تجد الذي بعده ؟ قال : أجد صداً حديد ، قال فوضع عمر يده على رأسه وقال : يا دفراه يا دفراه قال : يا أمير المؤمنين إنه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيوف مسلولة والدم مهراق وقوله تعالى : ﴿يَأْمُرهم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهم عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ هذه صفة الرسول ﷺ في الكتب المتقدمة وهكذا كانت حاله عليه الصلاة والسلام لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر كما قال عبد الله بن مسعود إذا سمعت الله يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأرعبها سمعتك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه ، ومن أهم ذلك وأعظمه ما بعثه الله به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له والنهي عن عبادة من سواه كما أرسل به جميع الرسل قبله كما قال تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر هو العقدي عبد الملك بن عمرو ، حدثنا سليمان هو ابن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد عن أبي حميد وأبي أسيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال وإذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنأ أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنأ بعدكم منه» رواه الإمام أحمد رضي الله عنه بإسناد جيد ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب ، وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى عن علي رضي الله عنه قال : إذا سمعتم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا به الذي هو الهدى والذي هو أهني والذي هو أتقى ثم رواه عن يحيى عن ابن سعيد عن مسعر عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا به الذي هو أهداه وأهناه وأتقاه ، وقوله ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ أي يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر والسوائب والوصائل والحام ونحو ذلك مما كانوا يستحلونه من المحرمات من المأكلات التي حرمها الله تعالى . قال بعض العلماء فكل ما أحل الله تعالى من المأكلات فهو طيب نافع في البدن والدين وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين وقد تمسك بهذه الآية الكريمة من يرى التحسين والتفقيح العقليين وأجيب عن ذلك بما لا يتسع هذا الموضوع له وكذا احتج بها من ذهب من العلماء ، إلا أن المرجع في حل المأكلات التي لم ينص على تحليلها ولا تحريمها إلى ما استنبطته العرب في حال رفاهيتها وكذا في جانب التحريم إلى ما استخفته وفيه كلام طويل أيضاً . وقوله ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ أي أنه جاء بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال «بعثت بالحنيفية السمحة» وقال ﷺ لأمر به معاذ وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن «بشراً ولا تنفروا وسراً ولا تعسروا وتطاوعا ولا تحتلفا» وقال صاحبه أبو برة الأسلمي : إني صحبت رسول الله ﷺ وشهدت تيسيره ، وقد كانت الأمم الذين قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم ، فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم ولهذا قال رسول الله ﷺ «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تزل أو تعمل» وقال «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» ولهذا قال : أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال : بعد كل سؤال من هذه فد فعلت قد فعلت ، وقوله ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه﴾ أي عظموه ووقروه ، وقوله ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ أي القرآن والوحي الذي جاء به مبلغاً إلى الناس ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي في الدنيا والآخرة .

قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ. وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

يقول تعالى لنبية ورسوله محمد ﷺ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿يا أيها الناس﴾ وهذا خطاب للأحر والأحرار والعجمي والعجمي ﴿إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال الله تعالى : ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ وقال تعالى : ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ وقال تعالى : ﴿وقل للذين أتوا الكتاب والأميين أأسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وهو معلوم من دين الإسلام

ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم قال البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وموسى بن هارون قالوا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن العلاء ابن زيد حدثني بشر بن عبيد الله حدثني أبو إدريس الخولاني قال سمعت أبا الدرداء ، رضي الله عنه يقول : كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما معاورة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضباً فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء ونحن عنده فقال رسول الله ﷺ «أما صاحبكم هذا فقد غامر» أي غاضب وحاقد قال وتدم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر قال أبو الدرداء فغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول والله يا رسول الله لانا كنت أظلم فقال رسول الله ﷺ «هل أنتم تاركولي صاحبي ؟ إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت» انفراد به البخاري . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال «وأعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي ولا أقوله فخراً بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأعطيت الشفاعة فأخترتها لأمتي يوم القيامة فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً» إسناد جيد ولم يخرجوه وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر بن مضر عن أبي الهاد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى انصرف إليهم فقال لهم «لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه ، ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملء مني رعباً وأحلت لي الغنائم أكلها وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا يحرقونها وجعلت الأرض مسجداً وطهوراً أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في بيعهم وكنائسهم والخامسة هي ما هي قيل لي سل فإن كل نبي قد سألت فأخترت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله» إسناد جيد قوي أيضاً ولم يخرجوه وقال أيضاً حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «من سمع بي من أمي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة» وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار» . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن طيبة حدثنا أبو يونس وهو سليم بن جبير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أعطيت خمسا بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وليس من نبي إلا وقد سألت الشفاعة وإني قد اختبأت شفاعتني ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئاً» وهذا أيضاً إسناد صحيح ولم أرهم خروجوه والله أعلم وله مثله من حديث ابن عمر بسند جيد أيضاً وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضاً من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأما رجل من أمتي أدرسته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة» وقوله «الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت» صفة الله تعالى في قول رسول الله ﷺ أي الذي أرسلني هو خالق كل شيء ورب ومليكه الذي بيده الملك والإحياء والإماتة وله الحكم» وقوله «فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي» أخبرهم أنه رسول الله إليهم ثم أمرهم باتباعه والإيمان به «النبي الأمي» أي الذي وعدتم به وبشركتم به في الكتب المتقدمة فإنه منعت بذلك في كتبهم ولهذا قال النبي الأمي وقوله «الذي يؤمن بالله وكلماته» أي يصدق قوله وعمله وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه «وآتبعوه» أي اسلكوا طريقه واتباعوا أثره «لعلكم تتقون» أي إلى الصراط المستقيم .

وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٧٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن بني إسرائيل أن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به كما قال تعالى : ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ وقال تعالى : ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما

أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون آيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴿١٦٠﴾ وقال تعالى : ﴿الذين آتياهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴿١٦١﴾ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴿١٦٢﴾ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴿١٦٣﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿إن الذين أتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ﴿١٦٤﴾ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبراً عجيباً فقال حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ قال بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطاً تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتدروا وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا في الأرض ، فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا ، قال ابن جريج قال ابن عباس فذلك قوله ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيقاً﴾ ووعد الآخرة عيسى بن مريم قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفاً وقال ابن عيينة عن صدقة أبي الهذيل عن السدي ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهد .

وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيطًا وَأَمَّا أَوْحِيَانَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴿١٦٠﴾ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عِمَّا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْقَصْفَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَبِيبٍ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦١﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَبَّهَرُوا لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَرِيذًا الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٢﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٣﴾

تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة وهي مدنية وهذا السياق مكى ونبهنا على الفرق بين هذا السياق وذاك بما أغنى عن إعادته هنا . والله الحمد والمنة .

وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانِ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

هذا السياق هو بسط لقوله تعالى : ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ الآية يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه ﴿واسألهم﴾ أي واسأل عن هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتياهم في المخالفة وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجذبونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم وهذه القرية هي أيلة وهي على شاطئ بحر القلزم قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ قال هي قرية يقال لها أيلة بين مدين والطور وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي وقال عبد الله بن كثير القاريء سمعنا أنها أيلة وقيل هي مدين وهو رواية عن ابن عباس ، وقال ابن زيد هي قرية يقال لها معتا بين مدين وعينونا وقوله ﴿إذ يعدون في السبت﴾ أي يعدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم باللوصاء به إذ ذاك ﴿إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ قال الضحاك عن ابن عباس أي ظاهرة على الماء وقال العوفي عن ابن عباس ظاهرة من كل مكان . قال ابن جرير وقوله ﴿ويوم لا يسبون لا تأتيتهم كذلك نبلوهم﴾ أي نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده وإخفائها عنهم في اليوم الحلال لهم صيده ﴿كذلك نبلوهم﴾ نختبرهم ﴿بما كانوا يفسقون﴾ يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام وقد قال الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة رحمه الله : حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن سلم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن

هارون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الخيل، وهذا إسناده جيد فإن أحمد بن محمد بن سلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه وباقي رجاله مشهورون نقات ويصح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيرا .

وإذ قالت أمة منهن لم يعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون ﴿١٧٦﴾

فلما نسوا ما ذكروا به أنجبتنا الذين يتهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا ينسفون ﴿١٧٧﴾

﴿١٧٦﴾ فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا فرقة خستين ﴿١٧٧﴾

يجر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطیاد السمك يوم السبت كما تقدم بيانه في سورة البقرة وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم وفرقة سكنت فلم تفعل ولم تنه ولكنها قالت للمنكرة ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ أي لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله فلا فائدة في نهيمكم إياهم ، قالت لهم المنكرة ﴿معذرة إلى ربكم﴾ قرا بعضهم بالرفع كأنه على تقديره هذه معذرة وقرا آخرون بالنصب أي نفعل ذلك ﴿معذرة إلى ربكم﴾ أي فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ولعلمهم يتقون﴾ قولون ولعل هذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم . قال تعالى : ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي فلما إن الفاعلون قبول النصيحة ﴿أنجبتنا الذين يتهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾ أي ارتكبوا المعصية ﴿بعذاب بئيس﴾ فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم هل كانوا من الهالكين أو من الناجين على قولين ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها أيلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعاً في ساحل البحر فإذا مضى يوم السبت لم بقدرها فمضى على ذلك ما شاء الله ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم ، فلم يزدادوا إلا غياً وعتوا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النباهة تعلمون أن هؤلاء قوم قد حرق عليهم العذاب ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ وكانوا أشد غضباً لله من الطائفة الأخرى فقالوا ﴿معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون﴾ وكل قد كانوا يتهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم والذين قالوا معذرة إلى ربكم وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة ، وروى العوفي عن ابن عباس قريباً من هذا ، وقال حماد بن زيد عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال ما أدري أنجا الذين قالوا ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ أم لا ؟ قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكساني حلة . وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج حدثني رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي وإذا المصحف في حجره فأعظمت أن أدنو منه ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك ؟ قال فقال هؤلاء الوراقات قال وإذا هو في سورة الأعراف قال تعرف أيلة ؟ قلت نعم قال فإنه كان بها حي من اليهود سبقت الحيتان إليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يفوصوا بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيهم يوم سبتهم شرعاً بيضاء سمانا كأنها الماخض تنتطح ظهورها لبطونها بأفئنتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال إنما نهيتهم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكلوها في غيره من الأيام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة بل نهيتهم عن أكلها وأخذها وصيدها يوم السبت فكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكنت وقال الأيمنون ويلكم الله ، نهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله وقال الأيسرون ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ قال الأيمنون ﴿معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون﴾ أي يتهون ، إن ينتهوا فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم فمضوا على الخطيئة وقال الأيمنون فقد فعلتم يا أعداء الله والله لئانتنكم الليلة في مدينتكم والله ما نراكم تصيحوون حتى يصبحكم الله يخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا سلماً وأعلوا سور المدينة رجلاً فالتفت إليهم فقال أي عباد الله قردة والله تعادى تعادى ها أذئاب قال ففتحوا فدخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولا تعرف الإنس

أنسابها من القردة فجعلت القروء يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابها وتبكي فيقول ألم تنهكم عن كذا فتقول برأسها أي نعم ثم قرأ ابن عباس ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين يبنون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس﴾ قال : فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها ، قال : قلت جعلني الله فداك ألا ترى أنهم قد كرموها ما هم عليه وخالفوهم ؟ وقالوا ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ قال : فأمر لي فكسيت ثوبين غليظين ، وكذا روى مجاهد عنه . وقال ابن جرير : حدثنا يونس أخبرنا أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال : زعم ابن رومان أن قوله تعالى : ﴿تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبون لا تأتيهم﴾ قال : كانت تأتيهم يوم السبت فإذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر ، فاتخذ لذلك رجل خيطاً ووتداً فربط حوتا منها في الماء يوم السبت حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذها فاشتواه فوجد الناس ريجه فأتوه فسألوه عن ذلك فجددهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فإنه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الأحد أخذها فاشتواه فوجدوا رائحة فجاؤا فسألوه فقال لهم لو شئتم صنعتم كما أصنع فقالوا له وما صنعت ؟ فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها ريش يغلقونها عليهم فأصابهم من المسخ ما أصابهم فغدوا عليهم جيرانهم ممن كانوا حولهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجيبوهم فتسوروا عليهم فإذا هم قردة فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به ، وقد قدمنا في سورة البقرة من الآثار في خبر هذه القرية ما فيه مقنع وكفاية والله الحمد والمئة [القول الثاني] ان الساكنين كانوا من الهالكين قال محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس انه قال ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تر حتى السبت المقبل فإذا جاء السبت جاءت شرعاً فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً فخرزم انفه ثم ضرب له وتداً في الساحل وربطه وتركه في الماء فلما كان الغد أخذ فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهونهم أحد إلا عصية منهم فهو حتى ظهر ذلك في الأسواق ففعل علانية قال فقالت طائفة للذين يبنونهم ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معدرة إلى ربكم﴾ فقالوا نسخط أعمالهم ﴿ولعلمهم يتقون﴾ فلما نسوا - إلى قوله - قردة خاسئين ﴿قال ابن عباس كانوا ثلاثاً ثلث نهوا وثلث قالوا ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ وثلث أصحاب الخطيئة فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم ، وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكنين أولى من القول بهذا لأنه تبيين حاتم بعد ذلك والله أعلم . وقوله تعالى : ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس﴾ فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا وبئس فيه قراءات كثيرة ومعناه في قول مجاهد الشديد . وفي رواية أليم وقال قتادة موجه والكل متقارب والله أعلم ، وقوله ﴿خاسئين﴾ أي ذليلين حقيرين مهانين .

وَإِذَا تَذَكَّرْتُ رَبُّكَ لِيَعْتَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ

لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿تأذن﴾ تفعل من الأذان أي أعلم قاله مجاهد وقال غيره أمر ، وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة ، ولهذا اتبعت باللام في قوله ﴿ليعتن عليهم﴾ أي على اليهود ﴿إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتياهم على المحارم ، ويقال إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة ، وكان أول من ضرب الخراج ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشديانيين والكلدانيين ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزية والخراج ، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت قهره ودمته يؤدون الخراج والجزية . قال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال هي المسكنة وأخذ الجزية منهم ، وقال علي بن أبي طلحة عنه هي الجزية والذي يسومهم سوء العذاب محمد رسول الله ﷺ وأتمته إلى يوم القيامة ، وكذا قال سعيد بن جبيرة وابن جريج والسدي وقاتدة ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن سعيد بن المسيب قال يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية قلت : ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصاراً للذجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم عليه السلام ، وذلك آخر الزمان وقوله ﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ أي لمن عصاه وخالف شرعه ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ أي لمن تاب إليه وأتاب وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة ثلاثاً يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيراً لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف .

وَقَطَعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمَا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ  
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٦﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا  
وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ الرُّيُوحُ خَذَعْتِهِمْ مِمَّنْ يَقُولُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي الْأَرْحَامِ  
خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧٧﴾ وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٨﴾

يذكر تعالى أنه فرقهم في الأرض أماً أي طوائف وفرقاً كما قال ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيقاف﴾ منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ﴿أي فيهم الصالح وغير ذلك كقول الجن﴾ «وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً» «وبلوناهم» أي اختبرناهم «بالحسنات والسيئات» أي بالرخاء والشدة والرغبة والرهبه والعافية والبلاء «لعلهم يرجعون» ثم قال تعالى : «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى» الآية يقول تعالى فخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والطالح خلف آخر لا خير فيهم وقد ورثوا دراسة الكتاب وهو التوراة وقال مجاهد هم النصارى وقد يكون أعم من ذلك «يأخذون عرض هذا الأدنى» أي يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا ويسوفون أنفسهم ويعدون بالتوبة وكلما لاح لهم مثل الأول وقعوا فيه ، ولهذا قال ﴿وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه﴾ وكما قال سعيد بن جبير يعملون الذنب ثم يستغفرون الله منه ويعترفون لله فإن عرض ذلك الذنب أخذوه وقال مجاهد في قوله تعالى : «يأخذون عرض هذا الأدنى» قال لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه حلالاً كان أو حراماً ويتمنون المغفرة «ويقولون سيغفر لنا وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه» ، وقال قتادة في الآية أي والله لخلف سوء «ورثوا الكتاب» بعد أنبيائهم ورسولهم أورثهم الله وعهد إليهم ، وقال الله تعالى في آية أخرى «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة» الآية قال «يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا» تمتوا على الله أماني وغرة يغترون بها «وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه» لا يشغلهم شيء عن شيء ولا ينهاهم شيء عن ذلك كلما هف لهم شيء من الدنيا أكلوه لا يباليون حلالاً كان أو حراماً ، وقال السدي قوله «فخلف من بعدهم خلف» إلى قوله «ودرسوا ما فيه» قال كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتضى في الحكم وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض اليهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتضى فيقال له ما شأنك ترتشي في الحكم ؟ فيقول سيغفر لي ، فتطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيها صنع فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي ، يقول وإن يأت الآخري عرض الدنيا يأخذوه قال الله تعالى : «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق» الآية يقول تعالى منكرأ عليهم في صنعهم هذا مع ما أخذ عليهم من الميثاق ليبين الحق للناس ولا يكتمنونه كقوله «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون» وقال ابن جريج قال ابن عباس «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق» قال فيما يتمنون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها ، وقوله تعالى والدار الآخرة خير للذين يتقون «أفلا تعقلون» يرغبهم في جزيل ثوابه ويحذرهم من وبيل عقابه ، أي وثوابي وما عندي خير لمن اتقى المحارم وترك هوى نفسه وأقبل على طاعة ربه «أفلا تعقلون» يقول أفليس هؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عما عندي عقل يردعهم عما هم فيه من السفه والتبذير ، ثم أتى تعالى على من تسمك بكتابه الذي يقوده الى اتباع رسوله محمد ﷺ كما هو مكتوب فيه فقال تعالى : «والذين يسكون بالكتاب» أي اعتصموا به واقتدوا بأوامره ، وتركوا زواجره «وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين» .

﴿وَإِذْ نَسَقْنَا الْجَبَلِ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ يقول رفعناه وهو قوله ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُم الطُّورَ﴾ بميثاقهم وقال سفيان الثوري عن الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رفعته الملائكة فوق رؤوسهم وهو قوله ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُم الطُّورَ﴾ وقال القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال ثم سار بهم موسى عليه السلام إلى الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكنت عنه الغضب وأمرهم بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف فتقلت عليهم وأبوا أن يقروا بها حتى نتق الله الجبل فوقهم ﴿كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ قال رفعته الملائكة فوق رؤوسهم رواه النسائي بطوله . وقال سنيد بن داود في تفسيره عن حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال هذا كتاب أتقبلونه بما فيه فإن فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم ؟ قالوا انشر علينا ما فيها فإن كانت فرائضها وحدودها يسيرة قبلناها قال أقبلوها بما فيها قالوا لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها فراجعوه مراراً فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى ألا ترون ما يقول ربي عز وجل لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل قال فحدثني الحسن البصري قال لما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجداً على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمى إلى الجبل فرحاً من أن يسقط عليه فكذلك ليس اليوم في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر يقولون هذه السجدة التي رفعت بها العقوبة قال أبو بكر فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس اليوم يهودي على وجه الأرض صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونغض لها رأسه أي حول كما قال تعالى ﴿فَسَيَقْضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ﴾ والله أعلم .

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ قَوْلُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجلبهم عليه قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جماعه هل تحسون فيها من جدعاء» وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ﷺ «يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم» وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال «ما بال أقوام يتناولون الذرية» فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال «إن خياركم أبناء المشركين ألا إنها ليست نسمة تولد إلا وندت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها» قال الحسن والله لقد قال الله في كتابه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية ، وقد رواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن البصري ، وأخرجه النسائي في سننه من حديث هشيم بن يونس بن عبيد عن الحسن قال حدثني الأسود بن سريع فذكره ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضار الآية عند ذلك ، وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم . قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أ رأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أ كنت مفتديا به قال فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي» أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن حازم عن كلثوم بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنوعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل

ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا - إلى قوله - المبطون﴾ وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة عن حسين بن محمد المرزوي ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفا ، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن جرير بن حازم عن كلثوم عن جبير وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بن كلثوم بن جبير هكذا قال وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه ، وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع عن ربيعة بن كلثوم عن جبير عن أبيه ، وكذا رواه عطاء بن السائب وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بديعة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت والله أعلم . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبيعي عن ابن عباس قال أخرج الله ذرية آدم من ظهره كههيئة الذر وهو في أذى من الماء . وقال أيضاً حدثنا علي سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة حدثنا أبو مسعود عن جرير قال مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال : فقال يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحده فابرز وجهه وحل عنه عقده فإن ابني مجلس ومسؤول ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت يرحمك الله عما يسأل ابنك من يسأله إياه قال يسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قلت يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قال حدثني ابن عباس إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خلقها إلى يوم القيامة فأخذ منه الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على القطرة فهذه الطرق كلها مما تقوي وقف هذا علي ابن عباس والله أعلم .

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا عبد الرحمن بن الوليد حدثنا أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بن سعيد عن الأجلح عن الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ قال أخذ من ظهره كما أخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ قالت الملائكة ﴿شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ أحمد بن أبي طيبة هذا هو أبو محمد الجرجاني قاضي قوس كان أحد الزهاد أخرج له النسائي في سننه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه وقال ابن عدي حدث بأحاديث كثيرة غرائب وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن حمزة بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو وكذا رواه ابن جرير عن منصور وهذا أصح والله أعلم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا روح هو ابن عبادة حدثنا مالك وحدثنا إسحاق حدثنا مالك عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ الآية فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال «إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون» فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل ؟ قال رسول الله ﷺ «إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار» وهكذا رواه أبو داود عن القعني والنسائي عن قتيبة والترمذي في تفسيرهما عن إسحاق بن موسى عن معن وابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب وابن جرير عن روح بن عبادة وسعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أبي مصعب الزبيري كلهم عن الإمام مالك بن أنس قال الترمذي وهذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع عمر كذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن مصفى عن بقة عن عمر بن جعشم القرشي عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن نعيم بن ربيعة قال كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ فذكره وقال الحافظ الدارقطني وقد تابع عمر بن جعشم بن زيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وقولها أولى بالصواب من قول مالك والله أعلم قلت الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حال نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حال نعيم ولم يعرفه فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ولهذا يرسل كثيراً من

المرفوعات ويقطع كثيراً من الموصولات والله أعلم .

(حديث آخر) قال الترمذي عند تفسيره هذه الآية حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم ويصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلاً منهم فأعجبه ويصا ما بين عيني قال أي رب من هذا قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال رب وكم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب وقد وهبت له من عمري أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمري أربعون سنة قال أولم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسبت ذريته وخطيء آدم فخطئت ذريته» ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ورواه الحاكم في مستدرکه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فذكر نحو ما تقدم إلى أن قال «ثم عرضهم على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك وإذا فيهم الأجدم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذريتي ؟ قال : كي تشكر نعمتي وقال آدم يا رب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً قال هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك» ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم .

(حديث آخر) قال عبد الرحمن بن قتادة النصري عن أبيه عن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال يا رسول الله أبدأ الأعمال أم قد قضى القضاء قال : فقال رسول الله ﷺ : «إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة مسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار مسرون لعمل أهل النار» رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عنه .

(حديث آخر) روى جعفر بن الزبير وهو ضعيف عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل اليمين بيمينه وأهل الشمال بشماله فقال يا أصحاب اليمين فقالوا لبيك وسعديك قال أنتست بربكم ؟ قالوا بلى قال يا أصحاب الشمال قالوا لبيك وسعديك قال أنتست بربكم ؟ قالوا بلى ثم خلط بينهم فقال قائل له يا رب لم خلطت بينهم ؟ قال لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلب آدم» رواه ابن مردويه .

(أثر آخر) قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآيات قال فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أنتست بربكم ؟ قالوا بلى ﴿الآية﴾ قال فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة ولم نعلم بهذا اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئاً وإني سأرسل إليكم رسلاً لينذروكم عهدي وميثاقى وأنزل عليكم كتيبى قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك فأقرؤا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال يا رب لو سويت بين عبادك ؟ قال إني أحببت أن أشكر ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوصاً بميثاق آخر من الرسالة والنسوة فهو الذي يقول تعالى : ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ الآية وهو الذي يقول ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ الآية ومن ذلك قال ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ ومن ذلك قال ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ الآية ، رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من رواية أبي جعفر الرازي وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقاتدة والسدي وغير واحد من علماء السلف سياقات توافق هذه الأحاديث اكتفينا بإيرادها عن التطويل في تلك الآثار كلها وبالله المستعان . فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وفي حديث عبد الله بن عمرو وقد بينا أنها موقوفان لا مرفوعان كما تقدم ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا ولهذا قال ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ ولم يقل من آدم ﴿ومن ظهورهم﴾ ولم يقل من ظهره ﴿ذرياتهم﴾ أي جعل نسلهم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن كقولته تعالى ﴿وهو الذي جعلكم

خلائف الأرض ﴿ وقال ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ وقال ﴿ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ ثم قال ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألت بر بكم قالوا بلى ﴾ أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقالوا والشهادة تارة تكون بالقول كقوله ﴿ قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ الآية وتارة تكون حالاً كقوله تعالى : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم ﴾ أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك وكذا قوله تعالى : ﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾ كما أن السؤال تارة يكون بالقال وتارة يكون بالحال كقوله ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ قالوا وبما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه فإن قيل إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره ، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد ولهذا قال ﴿ أن تقولوا ﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة ﴿ إننا كنا عن هذا ﴾ أي التوحيد ﴿ غافلين أو تقولوا إنما أشرك أبائنا ﴾ الآية .

وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ ءَأَخَذَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَأَتَعَ هَوَاهُ فَشَلَّهُ كَمَا شَاءَ لِكُلِّ الْكَافِرِ إِنْ تَحْسَبُ عَلَيْهِ بَلَهْتَ أَوْ تَرَىٰ كُهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَآؤُا يُظْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾

قال عبد الرزاق : عن سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ الآية قال هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء وكذا رواه شعبة وغير واحد عن منصور . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس هو صيفي بن الراهب قال قتادة وكعب كان رجلاً من أهل البلقاء وكان يعلم الاسم الأكبر وكان مقياً ببيت المقدس مع الجبارين وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه هو رجل من أهل اليمن يقال له بلعم آتاه الله آياته فتركها ، وقال مالك بن دينار كان من علماء بني إسرائيل وكان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد بعنه نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوهم إلى الله فأقطعهم وأعطاهم فبيع دينه وترك دين موسى عليه السلام وقال سفيان بن عيينة عن حصين عن عمران بن الحارث عن ابن عباس هو بلعم بن باعوراء ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا إسرائيل عن معوية عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلعام وقالت ثقيف هو أمية بن أبي الصلت وقال شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو في قوله ﴿ وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ﴾ الآية قال هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت وقد روي من غير وجه عنه وهو صحيح إليه وكأما إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ولكنه لم يتتبع بعلمه فإنه أدرك زمان رسول الله ﷺ وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته وظهرت لكل من له بصيرة ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ورثى أهل بدر من المشركين بمراثة بليغة قبحه الله . وقد جاء في بعض الأحاديث أنه ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه فإن له أشعاراً ريبانية وحكماً وقصاحة ولكنه لم يشرح الله صدره للإسلام . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن أبي سعيد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿ وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ قال هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن وكانت له امرأة له منها ولد فقالت اجعل لي منها واحدة قال فلك واحدة فما الذي تريد ؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل فدعا الله فجعلها أجمل امرأة في بني إسرائيل فلما علمت أن ليس فيهن مثلها رغبت عنه وأرادت شيئاً آخر فدعا الله أن يجعلها كلبة فصارت كلبة فذهبت دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس بنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة يعيرنا الناس بها فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وتسمى اليسوس ، غريب ، وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فإنما هو رجل من المتقدمين في زمن بني إسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعام وكان يعلم اسم الله الأكبر ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره من علماء السلف : كان مجاب الدعوة ولا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ، وأغرب بل أبعد بل أخطأ من قال : كان قد أوتي النبوة

فانسليخ منها ، حكاه ابن جرير عن بعضهم ولا يصح ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : لما نزل موسى بهم يعني بالجبارين ومن معه آتاه - يعني بلعم - آتاه بنو عمه وقومه فقالوا : إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه ، قال : إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهب دنياي وأخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله ما كان عليه ، فذلك قوله تعالى : ﴿فانسليخ منها فأتبعه الشيطان﴾ الآية . وقال السدي : لما انقضت الأربعون سنة التي قال الله ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة﴾ بعث يوشع بن نون نبياً فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبي وأن الله أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه ، وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له بلعام فكان عالماً يعلم الاسم الأعظم المكتوم فكفر - لعنه الله - وأتى الجبارين وقال لهم : لا ترهبوا بني إسرائيل فإني إذا خرجتم تقاتنوهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء لعظمتهم فكان ينكح أتاناً له وهو الذي قال الله تعالى : ﴿فانسليخ منها﴾ وقوله تعالى : ﴿فأتبعه الشيطان﴾ أي استحوذ عليه وعلى أمره فمهما أمره امتثل وأطاعه وهذا قال ﴿فكان من الغاوين﴾ أي من الهالكين الخائرين البائسين وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الخافظ أبو يعلي الموصلي في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا محمد بن بكر عن الصلت بن بهرام حدثنا الحسن حدثنا جندب الجبلي في هذا المسجد أن حذيفة يعني ابن اليمان رضى الله عنه حدثه قال : قال رسول الله ﷺ «إن مما أخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله انسليخ منه ويئذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك» قال قلت يا نبي الله أيها أولى بالشرك المرمي أو الرامي ؟ قال «بل الرامي» إسناده جيد والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ولم يرم بشيء سوى الإرجاء وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما .

وقوله تعالى : ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾ يقول تعالى : ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناها إيهاها ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ أي مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها وأقبل على لذاتها ونعيمها وغرته كما غرت غيره من غير أولي البصائر والنبي ، وقال أبو الراهويه في قوله تعالى : ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ قال : تراءى له الشيطان على علوة من قنطرة بانياس ، فسجدت الحجارة لله وسجد بلعام للشيطان ، وكذا قال عبد الرحمن بن جبير بن نفير وغير واحد ، وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : وكان من قصة هذا الرجل ما حدثنا همد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتز عن أبيه أنه سئل عن هذه الآية ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا﴾ فحدث عن سيار أنه كان رجلاً يقال له بلعام وكان محباب الدعوة ، قال : وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام أو قال الشام قال : فرعب الناس منه رعباً شديداً فاتوا بلعام فقالوا : ادع الله على هذا الرجل وجيشه ، قال حتى أوامر ربي أو حتى أوامر ، قال فأمر في الدعاء عليهم فقيل له لا تدع عليهم فإنهم عبادي وفيهم نبيهم ، قال : فقال لقومه إني قد أمرت ربي في الدعاء عليهم وإني قد نهبته فأهدوا له هدبة فقبلها ثم راجعوه فقالوا : ادع عليهم فقال : حتى أوامر ربي فأمر فلم يأمره بشيء فقال : قد أمرت فلم يأمرني بشيء فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الأولى ، قال : فأخذ يدعو عليهم فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه ، وإذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى وجيشه أو نحواً من ذلك إن شاء الله ، قال : فقالوا ما تراك تدعو إلا علينا ، قال : ما يجري على لساني إلا هكذا ولو دعوت عليه أيضاً ما استجيب لي ولكن سادلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ، إن الله يبغض الزنا وإنهم إن وقعوا في الزنا هلكوا ورجوت أن يهلكهم الله فأخرجوا النساء تستقبلهم فإنهم قوم مسافرون فمسي أن يزنا فيهلكوا قال : ففعلوا فأخرجوا النساء تستقبلهم قال وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به ، فقال : فقال أبوها أو بلعام لا تمكني نفسك إلا من موسى ، قال : ووقعوا في الزنا قال : فاتاها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل فأرادها على نفسها ، فقالت : ما أنا بممكنة نفسي إلا من موسى : فقال : إن منزلتي كذا وكذا وإن حالي كذا وكذا ، فأرسلت إلى أبيها تستأمره قال : فقال لها مكنيه قال : وبأنتها رجل من بني هارون ومعه الرمح فيقطعها . قال : وأيده الله بقوة فانتظمها جميعاً ورفعها على رجمه فأرأها الناس - أو كما حدث - قال : وسلط الله عليهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفاً . قال أبو المعتز : فحدثني سيار أن بلعاماً ركب حمارة له حتى أتى المعلولي أو قال طريقاً من المعلولي جعل يضربها ولا تتقدم وقامت عليه فقالت : علام تضربني ؟ أما ترى هذا الذي بين يديك ؟ فإذا الشيطان بين يدي قال : فنزل وسجد له قال الله تعالى : ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - إلى قوله - لعلهم يتفكرون﴾ قال : فحدثني بهذا سيار ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره (قلت) هو بلعام ويقال بلعم بن باعوراء ويقال ابن ابر ، ويقال ابن باعور بن شهتم بن قوشتم بن ماب بن لوط بن هاران ويقال بن حوران بن آزر وكان

يسكن قرية من قريي البلقاء ، قال ابن عساکر : وهو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم فانسلك من دينه له ذكر في القرآن ثم أورد قصته نحواً بما ذكرناه ها هنا أورده عن وهب وغيره والله أعلم . وقال محمد بن إسحاق بن سيار : عن سالم أبي النضر أنه حدث أن موسى عليه السلام لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام ، أتى قوم بلعام إليه فقالوا له : هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل ، وإنا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله عليهم ، قال ويلكم نبي الله معه الملائكة والمؤمنون كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ؟ قالوا له : ما لنا من منزل فلم يزالوا به يرفقونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب حمارة له متوجهاً إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل وهو جبل حسيبان ، فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها فضرها حتى إذا أزلقها قامت فركبها ، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به فضرها حتى إذا أزلقها أذن لها فكلمته حجة عليه فقالت : ويحك يا بلعام أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا ؟ تذهب إلى نبي الله والمؤمنين لتدعو عليهم ، فلم يتزع عنها فضرها فحلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك ، فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسيبان على عسكر موسى وبني إسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف الله لسانه إلى بني إسرائيل ، فقال له قومه : أتدري يا بلعام ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا قال فهذا ما لا أمكك ، هذا شيء قد غلب الله عليه ، قال : واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم : قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة فسامكر لكم وأحتال ، جملوا النساء واعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعثها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنى رجل منهم واحد كفيتموهم ، ففعلوا فلما دخلت النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبتي - ابنة صور رأس أمته - برجل من عطاء بني إسرائيل وهو زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام فلما راها أعجبت ، فقام فأخذ بيدها وأتى بها موسى وقال : إني أظنك ستقول هذا حرام عليك لا تقرها ؟ قال : أجل هي حرام عليك ، قال فوالله لا أطيعك في هذا فدخل بها قبة فوقع عليها وأرسل الله عز وجل الطاعون في بني إسرائيل ، وكان فتاح بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يجوس فيهم فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ، ثم دخل القبة وهما متصدجان فانظمتها بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته وكان بكر العيزار ، وجعل يقول اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون ، فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فتاح ، فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفاً والمقتل ثم يقول عشرون ألفاً في ساعة من النهار ، فمن هنالك تعطي بنو إسرائيل ولد فتاح من كل ذبيحة ذبحوها الرقية والذراع واللحي والبكر من كل مواهم وأنفسها لأنه كان بكر أبيه العيزار ، ففي بلعام بن باعوراء أنزل الله ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها - إلى قوله - لعلمهم يتفكرون﴾ وقوله تعالى : ﴿فضله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ اختلف المفسرون في معناه ، فعلى سياق ابن إسحاق عن سالم عن أبي النضر أن بلعاماً اندلع لسانه على صدره ، فتشبهه بالكلب في لهيته في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك ظاهر ، وقيل معناه فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء إلا الإيمان وعدم الدعاء كالكلب في لهيته في حالتيه إن حملت عليه وإن تركته هو يلهث في الخالين ، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه كما قال تعالى : ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ ونحو ذلك ، وقيل معناه أن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى فهو كثير الوجيب فعبر عن هذا بهذا نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره ، وقوله تعالى : ﴿فاقصص القصص لعلمهم يتفكرون﴾ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿فاقصص القصص لعلمهم﴾ أي لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعام وما جرى له في إضلال الله إياه وإبعاده من رحمة ، بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه في تعليمه الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب في غير طاعة ربه بل دعا به على حزب الرحمن وشعب الإيمان ؛ اتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان ، كلم الله موسى بن عمران عليه السلام ، وهذا قال ﴿للعلم يتفكرون﴾ أي فيحذروا أن يكونوا مثله ، فإن الله قد أعطاهم علماً وميزهم على من عداهم من الأعراب ، وجعل بأيديهم صفة محمد ﷺ يعرفونها كما يعرفون أبناءهم ، فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرتهم ومؤازرتهم كما أخبرتهم أنبياءهم بذلك وأمرتهم به ، ولهذا من خالف منهم ما في كتابه وكتبه فلم يعلم به العباد أحل الله به ذلاً في الدنيا موصولاً بذل الآخرة . وقوله ﴿سواء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يقول تعالى سواء مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا أي سواء مثلهم أن شهبوا بالكلاب التي لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه واتباع

هواه صار شبيهاً بالكلب وبشئ المثل مثله ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «ليس لنا مثل السوء ، العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه» ، وقوله «أنفسهم كانوا يظلمون» أي ما ظلمهم الله ولكن هم ظلموا أنفسهم بأعراضهم عن اتباع الهدى ، وطاعة المولى ، إلى الركون إلى دار البلى ، والإقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى .

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

يقول تعالى من هده الله فإنه لا مضل له ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة ، فإنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولهذا جاء في حديث ابن مسعود «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد وأهل السنن وغيرهم .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ

بِهَا أُولَٰئِكَ كَأَن لَّمْ يَعْلَمِ بِلَهُمْ أُضْلٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

يقول تعالى : «ولقد ذرأنا لجهنم» أي خلقنا وجعلنا لجهنم «كثيراً من الجن والإنس» أي هيئاتهم لهم ويعمل أهلها يعملون ، فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال «إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء» .

وفي صحيح مسلم أيضاً : من حديث عائشة بنت طلحة عن خالتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، فقال رسول الله ﷺ «أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم» ، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود : «ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد» وتقدم أن الله لما استخرج ذرية آدم من صلبه وجعلهم فريقين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال قال «هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهؤلاء للنار ولا أبالي» والأحاديث في هذا كثيرة ومسألة القدر كبيرة ليس هذا موضع بسطها ، وقوله تعالى : «لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها» يعني ليس يتفقهون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية ، كما قال تعالى : «وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله الآية ، وقال تعالى : «صم بكم عمي فهم لا يرجعون» هذا في حق المنافقين . وقال في حق الكافرين «صم بكم عمي فهم لا يعقلون» ولم يكونوا صماً ولا بكياً ولا عمياً إلا عن الهدى ، كما قال تعالى : «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون» وقال «فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور» وقال «ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقض له شيطاناً فهو له قرين» وإنيهم ليدعونهم عن السبيل ويمسبون أنهم مهتدون» وقوله تعالى : «أولئك كالأنعام» أي هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعون ولا يبصرون الهدى ، كالأنعام السارحة التي لا تتفقه هذه الحواس منها إلا في الذي يقبضها في ظاهر الحياة الدنيا ، كقوله تعالى : «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً» أي ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته ، ولا تفقه ما يقول . ولهذا قال في هؤلاء «بل هم أضل» أي من الدواب لأنها قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أنس بها ، وإن لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء ، ولأنها تفعل ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها بخلاف الكافر ، فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به ، ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده ، ومن كفر به من البشر كانت الدواب أتم منه ، ولهذا قال تعالى : «أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون» .

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الدِّينَ يُجْحَدُونَ ﴿١٨٠﴾ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨١﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله تسعاً وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر» أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عنه ، ورواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي حمزة عن أبي الزناد ، وأخرجه الترمذي في جامعه عن الجوزجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب فذكر بسنده مثله ، وزاد بعد قوله «حب الوتر : هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، المتكبر الخالق الباري المصور الغفار ، القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط ، الخافض الرفع المعز المذل السميع البصير ، الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور ، الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم ، الرقيب المحيب الواسع الحكيم ، الودود المجيد الباعث الشهيد الحق ، الوكيل القوي الثمين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد ، المحيي المميت ، الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القادر المقدر المقدم المؤخر الأول الآخر ، الظاهر الباطن الوالي المتعالي ، البر التواب المنتقم العفو الرؤوف ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني ، المانع الضار النافع ، النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور» ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث ، ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق صفوان .

وقد رواه ابن ماجه في سننه من طريق آخر عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً فسر الأسماء كنحو ما تقدم بزيادة ونقصان ، والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه ، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي أنهم جمعوها من القرآن . كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي ، والله أعلم . ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم عن عبد الرحمن عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن ، فقال : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهب همي ، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً» فقيل يا رسول الله : أفلا نتعلمها ؟ فقال «بل ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها» وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه بمثله ، وذكر الفقيه الإمام أبو بكر العربي أحد أئمة المالكية في كتابه الأحوذ في شرح الترمذي أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم ، فالله أعلم .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يلحدون في أسمائهم﴾ قال : الحاد الملحدون أن دعوا اللات في أسماء الله . وقال ابن جريج عن مجاهد ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يلحدون في أسمائهم﴾ قال اشتقوا اللات من الله ، والعزى من العزيز ، وقال قتادة يلحدون يشركون في أسمائهم . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الإلحاد التكذيب : وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد ، والميل والجور والإنحراف ، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر .

وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

يقول تعالى : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا﴾ أي بعض الأمم ﴿أُمَّةً﴾ قائمة بالحق قولاً وعملاً ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يقولونه ويدعون إليه ﴿وبه يعدلون﴾ يعملون ويقضون ، وقد جاء في الآثار أن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية هي هذه الأمة المحمدية ، قال سعيد عن قتادة في تفسير هذه الآية : بلغني أن النبي ﷺ كان يقول إذا قرأ هذه الآية «هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ﴿وَمَنْ قَوْمَ موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾» . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ قال : قال رسول الله ﷺ «إن من أممي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم متى ما نزل» وفي الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ﷺ «لا تزال طائفة من أممي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» وفي رواية «حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» وفي رواية «وهم بالشام» .

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

يقول تعالى : ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ ومعناه أنه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا حتى يعتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء ، كما قال تعالى : ﴿فلما نسوا ما ذكروا به ففتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿ولهذا قال تعالى : ﴿وأُمْلِي لَهُمْ﴾ أي وسأملِي لهم ، أي أطول لهم ما هم فيه ، ﴿إن كيدي متين﴾ أي قوي شديد .

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مَبِينٌ ﴿١٨٤﴾

يقول تعالى : ﴿أو لم يتفكروا﴾ هؤلاء المكذبون بآياتنا ﴿ما بصاحبهم﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿من جنة﴾ أي ليس به جنون ، بل هو رسول الله حقاً ، دعا إلى حق ﴿إن هو إلا نذير مبين﴾ أي ظاهر لمن كان له لب وقلب يعقل به ويعي به ، كما قال تعالى : ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ وقال تعالى : ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ يقول : إنما أطلب منكم أن تقوموا قياماً خالصاً لله ليس فيه تعصب ولا عناد مثنى وفرادى ؛ أي مجتمعين ومتفرقين ، ثم تتفكروا في هذا الذي جاءكم بالرسالة من الله أنه جنون أم لا ، فإنكم إذا فعلتم ذلك بان لكم وظهر أنه رسول الله حقاً وصدقاً ، وقال قتادة بن دعامة : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان على الصفا فدعا قريباً ، فجعل يفضدهم فخذاً فخذاً يا بني فلان ، يا بني فلان فحذرهم بأمر الله ووقائع الله ، فقال قائلهم : إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت إلى الصباح أو حتى أصبح ، فانزل الله تعالى : ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾ .

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ

بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾

يقول تعالى : أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآياتنا في ملك الله وسلطانه في السموات والأرض ، وفيما خلق من شيء فيها ، فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ، ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه ، ومن فعل من لا ينبغي أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله ، وينيبوا إلى طاعته ، ويخلصوا الأنداد والأوتان ، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه . وقوله ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ يقول فبأي تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبه ، الذي آتاهم به من عند الله في أي كتابه يصدقون إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله عز وجل ؟ وقد روى الإمام أحمد : عن حسن بن موسى وعثمان بن مسلم وعبد الصمد بن عبد الوارث ، كلهم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «رأيت ليلة أسري بي كذا ، فلما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فوقي فإذا أنا برعد وبرق وصواعق ، وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا ، فلما نزلت إلى السماء الدنيا فنظرت إلى أسفل مني فإذا أنا برهج ودخان وأصوات فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الشياطين يجومون على أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب» علي بن زيد بن جدعان له منكرات . ثم قال تعالى :

مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَاءَ لَهَادِي لَهُمْ يُدْرِكُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْهَدُونَ ﴿١٨٦﴾

يقول تعالى : من كتب عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد ، ولو نظر لنفسه فيما نظر فإنه لا يجزي عنه شيئاً ﴿ومن يرد الله فنته فلن تملك له من الله شيئاً﴾ وكما قال تعالى : ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تقني الآيات والنذر عن

قوم لا يؤمنون .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً

يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾

يقول تعالى : ﴿يسألونك عن الساعة﴾ كما قال تعالى : ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ قيل نزلت في قريش ، وقيل في نفر من اليهود ، والأول أشبه لأن الآية مكية ، وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعادا لوقوعها وتكذيبا بوجودها ، كما قال تعالى : ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ وقال تعالى : ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ .

وقوله ﴿أيان مرساها﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : منتهاها أي متى محطها وأيان آخر مدة الدنيا الذي هو أول وقت الساعة ﴿قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ أمر تعالى رسوله ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد علمها إلى الله تعالى ، فإنه هو الذي يجليها لوقتها أي يعلم جلية أمرها ومتى يكون على التحديد ، لا يعلم ذلك إلا هو تعالى ، ولهذا قال ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ قال : ثقل علمها على أهل السموات والأرض أنهم لا يعلمون ، قال معمر : قال الحسن : إذا جاءت ثقلت على أهل السموات والأرض ، يقول : كبرت عليهم .

وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ قال ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة ، وقال ابن جريج ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ قال : إذا جاء انشقت السماء وانثرت النجوم ، وكورت لشمس ، وسيرت الجبال ، وكان ما قال الله عز وجل ، فذلك ثقلها ، واختار ابن جرير رحمه الله أن المراد ثقل علم وقتها على أهل السموات والأرض كما قال قتادة ، وهو كما قاله كقوله تعالى : ﴿لا تأتاكم إلا بغتة﴾ ولا ينفي ذلك ثقل مجيئها على أهل السموات والأرض ، والله أعلم .

وقال السدي : ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ يقول : خفيت في السموات والأرض ، فلا يعلم قيامها حين تقوم ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿لا تأتكم إلا بغتة﴾ يعثهم قيامها تأتيهم على غفلة . وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿لا تأتكم إلا بغتة﴾ قضى الله أنها ﴿لا تأتكم إلا بغتة﴾ قال : وذكر لنا أن نبي الله كان يقول «إن الساعة تهيج بالناس ، والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته في السوق ويحفض ميزانه ويرفعه» . وقال البخاري : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب ، أنبأنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيماناً لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبها بينهما ، فلا يتبايعانه ولا يطويانه . ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» وقال مسلم في صحيحه ؛ حدثني زهير بن حرب ، حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به ، قال : تقوم الساعة والرجل يحلب لقحته ، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم الساعة ، والرجل يلوط حوضه فما يصدر حتى تقوم .

وقوله ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ اختلف المفسرون في معناه ، فقيل معناه كما قال العوفي عن ابن عباس ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ يقول : كأن بينك وبينهم مودة كأنك صديق لهم ، قال ابن عباس : لما سأل الناس النبي ﷺ عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن عمداً حفي بهم ، فأوحى الله إليه إنما علمها عنده استأثر به ، فلم يطلع الله عليها ملكاً مقرباً ولا رسولا ، وقال قتادة : قالت قريش لمحمد ﷺ : إن بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة ؟ فقال الله عز وجل ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك والسدي ، وهذا قول ، والصحيح عن مجاهد من رواية بن أبي نجیح وغيره ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ قال : استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها ، وكذا قال الضحاك عن ابن عباس ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ يقول : كأنك عالم بها لست تعلمها ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ .

وقال معمر عن بعضهم : ﴿كأنك حفي عنها﴾ كأنك عالم بها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿كأنك حفي عنها﴾ كأنك بها عالم وقد أخفى الله علمها على خلقه ، وقرأ ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الآية ، وهذا القول أرجح في

المقام من الأول ، والله أعلم ، ولهذا قال ﴿قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ . ولهذا لما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ليعلم الناس أمر دينهم ، فجلس من رسول الله ﷺ مجلس السائل المسترشد ، وسأله ﷺ عن الإسلام ، ثم عن الإيمان ، ثم عن الإحسان ، ثم قال : فمتى الساعة ؟ قال له رسول الله ﷺ «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» أي لست أعلم بها منك ولا أحد أعلم بها من أحد ، ثم قرأ النبي ﷺ ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الآية . وفي رواية فسأله عن أشراف الساعة ، فبين له أشراف الساعة ، ثم قال «في خمس لا يعلمهن إلا الله» وقرأ هذه الآية ، وفي هذا كله يقول له بعد كل جواب : صدقت ، ولهذا عجب الصحابة من هذا السائل يسأله ويصدق ، ثم لما انصرف قال رسول الله ﷺ «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» وفي رواية قال «وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا صورته هذه» وقد ذكرت هذا الحديث بطرقه وألفاظه من الصحاح والحسان والمسانيد في أول شرح البخاري ، والله الحمد والمنة ، ولما سأله ذلك الأعرابي وناداه بصوت جهوري فقال : يا محمد ، قال له رسول الله ﷺ «هاؤم» على نحو من صوته ، قال : يا محمد متى الساعة ؟ فقال له رسول الله ﷺ «ويحك إن الساعة آتية فما أعددت لها» قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ، ولكنني أحب الله ورسوله ، فقال له رسول الله ﷺ «المرء مع من أحب» فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث ، وهذا له طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه قال «المرء مع من أحب» وهي متواترة عند كثير من الحفاظ المتقين ، ففيه أنه عليه السلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم ، وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له قبل نزوله وإن لم يعرفوا تعيين وقته . ولهذا قال مسلم في صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا : حدثنا أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة : متى الساعة ؟ فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول «إن يعيش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت عليكم ساعتكم» يعني بذلك موتهم الذي يفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدار الآخرة . ثم قال مسلم : وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الساعة ، فقال رسول الله ﷺ «إن يعيش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» انفرد به مسلم .

وحدثني حجاج بن الشاعر ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا سعيد بن أبي هلال المصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال : متى الساعة ؟ فسكت رسول الله ﷺ هنيهة ، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزدشوة فقال «إن عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» قال أنس : ذلك الغلام من أتريبي ، وقال : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة عن أنس قال : مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من أتريبي فقال النبي ﷺ «إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» ورواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه عن عمرو بن عاصم عن همام بن يحيى عن قتادة عن أنس ، أن رجلاً من أهل البادية قال : يا رسول الله متى الساعة ؟ فذكر الحديث ، وفي آخره : فمر غلام للمغيرة بن شعبة وذكره ، وهذا الإطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم في حديث عائشة رضي الله عنها .

وقال ابن جريج : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر «تسألوني عن الساعة ، وإنما علمها عند الله ، وأقسم بالله ما على ظهر الأرض اليوم من نفس منقوسة تأتي عليها مائة سنة» . رواه مسلم . وفي الصحيحين عن ابن عمر مثله ، قال ابن عمر : وإنما أراد رسول الله ﷺ انخرام ذلك القرن . وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم ، أنبأنا العوام عن جيلة بن سحيم عن موثر بن عفرة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى ، فتذاكروا أمر الساعة - قال - فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام ، فقال لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى عيسى فقال عيسى : أما وجبتنا فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل ، وفيها عهد إلى ربه عز وجل أن الدجال خارج - قال - ومعني قضيبان ، فإذا رأيته ذاب كما يذوب الرصاص ، قال : فيهلكه الله عز وجل إذا رأيته حتى إن الشجر والحجر يقول : يا مسلم إن تحتي كافراً فتعال فاقتله ، قال : فيهلكهم الله عز وجل ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، قال : فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب يسلمون ، فيطأون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يبرون على ماء إلا شربوه : قال : ثم يرجع الناس إلي فيشكونهم فادعوا الله عز وجل عليهم فيهلكهم ويعتيم حتى تجوى الأرض من نثر ريمهم أي تنتن ، قال : فينزل الله عز وجل المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر . قال الإمام أحمد : قال يزيد بن هارون : ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم ، ثم رجع إلى حديث هشيم ، قال : ففيها عهد إلي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان

كذلك ، فإن الساعة كالحامل المتسم لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً أو نهاراً ، ورواه ابن ماجة عن بندار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب بسنده نحوه ، فهؤلاء أكابر أولي العزم من المرسلين ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعمين ، وإنما ردوا الأمر إلى عيسى عليه السلام ، فتكلم على أشراطها لأنه ينزل في آخر هذه الأمة منفذاً لأحكام رسول الله ﷺ ويقتل المسيح الدجال ، ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج بركة دعائه ، فأخبر بما أعلمه الله تعالى به .

وقال قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبي بكر ، حدثنا عبد الله بن زياد بن لقيط ، قال : سمعت أبي يذكر عن حذيفة قال : سئل رسول الله ﷺ عن الساعة ، فقال وعلمها عند ربي عز وجل لا يبجلها لوقتها إلا هو ، ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها ، إن بين يديها فتنة وهرجاء قالوا : يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج ؟ قال «بلسان الحبشة القتلى» قال ويلقى بين الناس التناكر ، فلا يكاد أحد يعرف أحداً لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه . وقال وكيع : حدثنا ابن أبي خالد عن طارق بن شهاب قال : كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت «يسألونك عن الساعة أيان مرساها» الآية ، ورواه النسائي من حديث عيسى بن يونس عن إسماعيل بن أبي خالد ، وهذا إسناده جيد قوي ، فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وسلامه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقضى والحاشر الذي تمحسر الناس على قدميه ، مع قوله فيها ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضي الله عنهما «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقرن بين أصبعيه السبابة والتي تليها ، ومع هذا كله قد أمره الله أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها ، فقال «قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون» .

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ

أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

أمره الله تعالى أن يفوض الأمور إليه ، وأن يجبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه ، كما قال تعالى : «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً» الآية . وقوله «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير» قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن مجاهد «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير» قال : لو كنت أعلم متى أموت لعملت عملاً صالحاً ، وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وقال مثله ابن جريج ، وفيه نظر لأن عمل رسول الله ﷺ كان ديمة ، وفي رواية : كان إذا عمل عملاً أثبتته ، فجميع عمله كان على منوال واحد كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله ، اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك ، والله أعلم . والأحسن في هذا ما رواه الضحاك عن ابن عباس «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير» أي من المال . وفي رواية : لعلمت إذا اشتريت شيئاً ما أربح فيه ، فلا أبيع شيئاً إلا ربحت فيه ولا يصيبني الفقر . وقال ابن جرير وقال آخرون : معنى ذلك لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجذبة من المخصة ولوقت الغلاء من الرخص ، فاستعددت له من الرخص ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم «وما مسني سوء» قال : لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيته ثم أخبر أنه إنما هو نذير وبشير ، أي نذير من العذاب وبشير للمؤمنين بالجنات ، كما قال تعالى : «فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً» .

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَاَمْرَتْ

بِهِ ۖ فَلَمَّا أَتَتْهَا دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لِيَنْزِلَ عَلَيْهِمَا صَالِحًا لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَهُ لَكُمْ شُرَكَاءَ فِيمَا

آتَاهُمَا فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾

بنيه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام . وأنه خلق منه زوجته حواء ثم انتشر الناس منها ، كما قال تعالى : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» وقال تعالى : «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها» الآية ، وقال في هذه الآية الكريمة «وجعل منها زوجها لیسکن إليها» أي ليألفها ويسكن بها ، كقوله تعالى : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً

لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴿ فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين ، ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه ﴿ فلما تفشاهما ﴾ أي وطنها ﴿ حملت حملاً خفيفاً ﴾ وذلك أول الحمل لا تجد المرأة له المأ ، إنما هي النظفة ثم العلقة ثم المصعة .

وقوله ﴿ فمرت به ﴾ قال مجاهد : استمرت بحمله ، وروي عن الحسن وإبراهيم النخعي والسدي نحوه ، وقال ميمون بن مهران عن أبيه : استخفته . وقال أيوب : سألت الحسن عن قوله ﴿ فمرت به ﴾ قال : لو كنت رجلاً عربياً لعرفت ما هي إنما هي فاستمرت به ، وقال قتادة ﴿ فمرت به ﴾ استبان حملها . وقال ابن جرير : معناه استمرت بالماء قامت به وقعت . وقال العوفي عن ابن عباس : استمرت به فشكت أحملت أم لا ؟ ﴿ فلما أثقلت ﴾ أي صارت ذات ثقل بحملها . وقال السدي : كبر الولد في بطنها ﴿ دعوا الله ربها لئن آتيتنا صالحاً ﴾ أي بشراً سوياً ، كما قال الضحاک عن ابن عباس : أشفقاً أن يكون بهيمة ، وكذلك قال أبو البختري وأبو مالك : أشفقاً أن لا يكون إنساناً .

وقال الحسن البصري : لئن آتيتنا غلاماً ﴿ لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلنا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾ يذكر المفسرون ههنا آثراً وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ، ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عمر بن إبراهيم ، حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال ﴿ ولما ولدت حواء طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد ، فقال : سمي عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره ﴾ وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بنادر عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن الثني عن عبد الصمد ، وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ، ورواه الحاكم في مستدرکه من حديث عبد الصمد مرفوعاً ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعاً . وكذا رواه الخافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعاً ، قلت : وشاذ هو هلال ، وشاذ لقبه ، والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه [أحدها] أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً ، قاله أعلم . [الثاني] أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً ، كما قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر عن أبيه ، حدثنا بكر بن عبد الله عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال : سمي آدم ابنه عبد الحارث . [الثالث] أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه . قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن ﴿ جعلنا له شركاء فيما آتاهما ﴾ قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بأدم .

وحدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال : قال الحسن : عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني ﴿ جعلنا له شركاء فيما آتاهما ﴾ . وحدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد عن قتادة قال : كان الحسن يقول هم اليهود ، والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا ، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه ، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرها ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله إلا أننا برثنا من عهدة المرفوع ، والله أعلم .

فاما الآثار فقال محمد بن إسحاق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كانت حواء تلد لأدم عليه السلام أولاداً فيعبدهم الله ويسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك ، فيصيههم الموت ، فاتاهما إبليس فقال : إنكما لو سميتما بغير الذي تسميان به لعاش ، قال : فولدت له رجلاً فسماه عبد الحارث ، ففيه أنزل الله يقول ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة - إلى قوله - جعلنا له شركاء فيما آتاهما ﴾ إلى آخر الآية ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة - إلى قوله - فمرت به ﴾ شكت أحملت أم لا ؟ ﴿ فلما أثقلت دعوا الله ربها لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين ﴾ فاتاهما الشيطان ، فقال : هل تدریان ما يولد لكما ؟ أم هل تدریان ما يكون أهيمة أم لا ؟ وزين لها الباطل ، إنه غوي مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لها الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سوياً ومات كما مات الأول ، فسميا ولدهما عبد الحارث ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلنا له شركاء

فيا آتاهما الآية .

وقال عبد الله بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ قال : قال الله تعالى : ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها﴾ آدم ﴿حملت﴾ آتاهما إبليس لعنه الله فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني إيل فيخرج من بطنك فيشق ، ولأفعلن ولأفعلن يخوفها ، فسمياه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً ، ثم حملت الثانية فأتاهما أيضاً فقال : أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلن- أو لأفعلن - يخوفها - فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ، ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضاً فذكر لها فأدرکہما حب الولد فسمياه عبد الحارث ، فذلك قوله تعالى : ﴿جعلنا له شركاء فيما آتاهما﴾ رواه ابن أبي حاتم .

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة ، وكأنه - والله أعلم - أصله مأخوذ من أهل الكتاب ، فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب ، كما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الجماهر ، حدثنا سعيد يعني ابن بشر عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : لما حملت حواء أتاها الشيطان فقال لها : أنطيعيني ويسلم لك ولدك ؟ سمية عبد الحارث ، فلم تفعل ، فولد فمات ، ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل ، ثم حملت الثالثة فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة ، فهيهما فأطاعا . وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب ، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام ، فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ، ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً ، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله ﴿فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم﴾ وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر ، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث ، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ، ولهذا قال الله ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ ثم قال : فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين ، وهو كاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس ، كقوله ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ الآية ، ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زين بها السماء ليست هي التي يرمى بها ، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ، ولهذا نظرنا في القرآن ، والله أعلم .

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاةَ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُوهُمْ آمَنَّا صَلَّيْتُمْ ﴿١١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَاذْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا أَلْفَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٤﴾ أَلَهُمْ أَزْجُلٌ يَمْسُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آيْدٍ

يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١١٥﴾

إِنَّ وِلْيَةَ اللَّهِ الَّتِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُرَّتَوَى الصَّلِيِّينَ ﴿١١٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا

أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنظِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١١٨﴾

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان ، وهي مخلوقة لله مربية مصنوعة ، لا تملك شيئاً من الأمر ولا تضر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تتصور لعابديها ، بل هي جاد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر ، وعابدها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم ، ولهذا قال : ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾ أي أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئاً ولا يستطيع ذلك ، كقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾ أخبر تعالى أن ألفتهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خلق ذبابة بل

لو سلبتهم الذبابة شيئاً من حفير المطاعم وطارت ، لما استطاعوا انقاذه منها ، فمن هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر ؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾ أي بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل ﴿ اتعبدون ما تحتون ﴾ الآية .

ثم قال تعالى : ﴿ ولا يستطيع لهم نصراً ﴾ أي لعابديهم ﴿ ولا أنفسهم ينصرون ﴾ يعني ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء ، كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكرس أصنام قومه ويبينها غاية الإهانة كما أخبر تعالى عنه في قوله : ﴿ فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾ وقال تعالى : ﴿ فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ﴾ وكما كان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ، وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكانا يعدوان في الليل على أصنام الشركيين يكرسها ويتلفانها ويتخذانها حطباً للأرامل ليعتبر قومها بذلك ويرتأوا لأنفسهم ، فكان لعمرو بن الجموح وكان سيداً في قومه صنم يعبده ويطلبه ، فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه ويلطخاناه بالعدرة ، فيجيء عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به ، فيغسله ويطلبه ويضع عنده سيفاً ويقول له : انتصر ، ثم يعودان لمثل ذلك ، ويعود إلى صنيعه أيضاً ، حتى أخذاه مرة فقرناه مع كلب ميت ، ودلباه في جبل في بئر هناك ، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل ، وقال :

تالله لو كنت إهاباً مستنداً لم تك والكلب جميعاً في قرن

ثم أسلم فحسب إسلامه ، وقتل يوم أحد شهيداً رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنة الفردوس مأواه ، وقوله ﴿ وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم ﴾ الآية ، يعني أن هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها ، وسواء لديها من دعاها ومن دعاها ، كما قال إبراهيم ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ ثم ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها أي مخلوقات مثلهم ، بل الأناس أكمل منها لأنها تسمع وتبصر وتبسط ، وتلك لا تفعل شيئاً من ذلك . وقوله ﴿ قل ادعوا شركاءكم ﴾ الآية ، أي استنصروا بها علي فلا تؤخروني طرفة عين ، واجهدوا جهدكم ﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ أي الله حسي وكافيني ، وهو نصيري وعليه متكلي وإليه أجتأ ، وهو وليي في الدنيا والآخرة وهو ولي كل صالح بعدي وهذا كما قال هود عليه السلام لما قال له قومه ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض الهتاء بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ﴾ \* إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ﴾ وكقول الخليل ﴿ أفرايتم ما كنتم تعبدون أئتم وأباؤكم الأقدمون ﴾ فإتهم عدو لي إلا رب العالمين \* الذي خلقني فهو يهدين ﴾ الآيات ، وكقوله لأبيه وقومه ﴿ إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ .

وقوله ﴿ والذين تدعون من دونه ﴾ إلى آخر الآية ، مؤكداً لما تقدم إلا أنه بصيغة الخطاب وذاك بصيغة الغيبة ، ولهذا قال ﴿ لا يستطعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴾ ، وقوله ﴿ وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون ولا يسمعون ﴾ وقوله ﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ﴾ الآية . وقوله ﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾ إنما قال ﴿ ينظرون إليك ﴾ أي يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرة وهي جماد ، ولهذا عاملهم معاملة من يعقل لأنها على صورة مصورة كالإنسان وتراهم ينظرون إليك ، فعبر عنها بضمير من يعقل ، وقال السدي : المراد بهذا المشركون ، وروي عن مجاهد نحوه ، والأول أولى ، وهو اختيار ابن جرير ، وقاله قتادة .

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿ خذ العفو ﴾ يعني خذ ما عفي لك من أموالهم وما أتوك به من شيء فخذ ، وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه الصدقات ، قاله السدي . وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿ خذ العفو ﴾ أنفق الفضل ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ خذ العفو ﴾ قال : الفضل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ﴿ خذ العفو ﴾ أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ، ثم أمره بالغلظة عليهم ، واختار هذا القول ابن جرير . وقال غير واحد عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ خذ العفو ﴾ قال : من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحمس . وقال هشام بن عروة عن أبيه : أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ، وفي رواية قال : خذ ما عفا لك من أخلاقهم ، وفي صحيح البخاري عن هشام عن أبيه عروة عن أخيه عبد الله بن الزبير قال : إنما أنزل خذ العفو من أخلاق الناس وفي رواية لغيره عن هشام عن أبيه عن ابن عمر ، وفي رواية عن هشام عن

أبيه عن عائشة أنها قالا مثل ذلك ، والله أعلم .

وفي رواية سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن أبي الزبير خذ العفو ، قال : من أخلاق الناس ، والله لأخذنه منهم ما صحبتهم ، وهذا أشهر الأقوال ، ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً : حدثنا يونس حدثنا سفيان هو ابن عيينة عن أبي قال : لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ﴾ قال رسول الله ﷺ وما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ، وقد رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن أبي يزيد القراطيسي كتابة ، عن اصبع بن الفرغ عن سفيان عن أبي عن الشعبي نحوه ، وهذا مرسل على كل حال ، وقد روي له شواهد من وجوه أخر ، وقد روي مرفوعاً عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة عن النبي ﷺ أسندهما ابن مردويه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا شعبة ، حدثنا معاذ بن رفاعه ، حدثني علي بن يزيد عن القاسم بن أبي أمامة الباهلي عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال : لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته ، فأخذت بيده فقلت : يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال ، فقال (يا عقبه صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، وأعرض عمن ظلمك) وروى الترمذي نحوه من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد به . وقال : حسن . قلت : ولكن علي بن يزيد وشيخه القاسم أبو عبد الرحمن فيها ضعف . وقال البخاري قوله ﴿ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ﴾ العرف المعروف حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب عن الزهري ؛ أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنها قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة ، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدينهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً ، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه ، قال : سأستأذن لك عليه ، قال ابن عباس : فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به ، فقال له الحر ؛ يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ﴾ وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان واقفاً عند كتاب الله عز وجل ، انفرج بإخراجه البخاري .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالك بن أنس عن عبد الله بن نافع أن سالم بن عبد الله بن عمر مر على أهل الشام وفيها جرس ، فقال : إن هذا منهي عنه ، فقالوا : نحن أعلم بهذا منك ، إنما يكره الجلل الكبير ، فأما مثل هذا فلا بأس به ، فسكت سالم وقال ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ وقول البخاري : العرف المعروف ، نص عليه عمرو بن الزبير والسدي وقنادة وابن جرير وغير واحد ، وحكى ابن جرير أنه يقال أوليته معروفًا وعارفاً ، كل ذلك بمعنى المعروف ، قال : وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات وبالإعراض عن الجاهلين ، وذلك وإن كان أمراً لنبيه ﷺ فإنه تأديب خلفه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم لا بالإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق الله ، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله ﴿ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ﴾ قال : هذه أخلاق أمر الله بها نبيه ﷺ ودله عليها ، وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى فسكبه في بيتين فيها جناس ، فقال :  
خذ العفو وأمر بعرف كما  
لمن في الكلام لكل الأسماء  
أمرت وأعرض عن الجاهلين  
فمستحسن من ذوي الحياء ليين

وقال بعض العلماء : الناس رجلان ، فرجل عمن فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يجرجه ، وإما مسيء فمره بالمعروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه ، فلعل ذلك أن يرد كيد ، كما قال تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾ \* وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ \* وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ أي هذه الوصية ﴿ وإما يتزغتنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ وقال في هذه السورة الكريمة أيضاً وإما يتزغتنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم فهذه الآيات الثلاث في الأعراف والمؤمنون وحم السجدة لا رابع لها ، فإنه تعالى يرشد فيهن إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف بالتي هي أحسن فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى ، ولهذا قال ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ ثم يرشد تعالى إلى الاستعاذة به من شيطان الجن ، فإنه لا يكفه عنك الإحسان وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك ، وقال ابن جرير في تفسير قوله ﴿ وإما يتزغتنك من

الشیطان نزع ﴿ وإما یغضبک من الشیطان غضب ینسک عن الإعراض عن الجاهل ویمحک علی مجازاته ﴿ فاستعذ بالله ﴿ یقول : فاستجر بالله من نزعہ ﴿ إنه سمیع علیم ﴿ سمیع لجهل الجاهل علیک والاستعاذة به من نزعہ ولغیر ذلك من کلام خلقه لا یخفی علیہ منه شیء علیم بما یدهب عنک نزع الشیطان وغیر ذلك من أمور خلقه .  
وقال عبد الرحمن بن زید بن أسلم : لما نزلت ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴿ قال : یا رب کیف بالغضب ؟ ، فأنزل الله ﴿ وإما ینزعک من الشیطان نزع فاستعذ بالله إنه سمیع علیم ﴿ قلت : وقد تقدم فی أول الاستعاذة حدیث الرجلین اللذین تسابا بحضرة النبی ﷺ فغضب أحدهما حتی جعل أنفه یتمرغ غضباً ، فقال رسول الله ﷺ ﴿إني لأعلم کلمة لو قالها لذهب عنه ما یمید ؛ أعوذ بالله من الشیطان الرجیم﴾ فقیل له ، فقال : ما بی من جنون . وأصل النزغ الفساد إما بالغضب أو غیره ، قال الله تعالی : ﴿وقل لعبادی یقولوا التي هي أحسن إن الشیطان ینزع بینهم ﴿ والعیاذ اللتجاء والاستناد والاستجارة من الشر ، وأما الملاذ ففی طلب الخیر ، كما قال الحسن بن هانئ فی شعره :  
یسامن السود به فیسا أومله      ومن أعوذ به عما أحاذره  
لا یجیر الناس عظماً أنت کاسره      ولا یبيضون عظماً أنت جابره  
وقد قدمنا أحادیث الاستعاذة فی أول التفسیر بما أغنی عن إعادته ههنا .

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٣١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي

الْفِتْنِ سَعًا لَا يَفْصِرُونَ ﴿٣٢﴾

یحیر تعالی عن المتقین من عباده الذین أطاعوه فیها أمر ، وترکوا ما عنه زجر أنهم ﴿إذا مسهم﴾ أي أصابهم طیف . وقرأ الآخرون طائف ، وقد جاء فی حدیث وهما قراءتان مشهورتان ، فقیل بمعنى واحد ، وقیل بینهما فرق ، ومنهم من فسر ذلك بالغضب ، ومنهم من فسره بمس الشیطان بالصرع ونحوه ، ومنهم من فسره بالذنب ، ومنهم من فسره بإصابة الذنب وقوله ﴿تذکروا﴾ أي عقاب الله وجزیل ثوابه ووعده ، ووعیده ، فتأبوا وأتابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قریب ﴿فإذا هم مبصرون﴾ أي قد استقاموا وصحوا بما كانوا فیہ . وقد أورد الحافظ أبو بکر بن مردويه هاهنا حدیث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءت امرأة إلى النبی ﷺ وبها طیف فقالت : یا رسول الله ادع الله أن یشفینی ، فقال ﴿إن شئت دعوت الله فشفاک ، وإن شئت فاصبري ولا حساب علیک﴾ فقالت : بل أصبر ولا حساب علی ، ورواه غیر واحد من أهل السنن وعندهم قالت : یا رسول الله إني أصرع وأتكشف ، فادع الله أن یشفینی ، فقال ﴿إن شئت دعوت الله أن یشفیک ، وإن شئت صبرت ولك الجنة﴾ فقالت ؛ بل أصبر ولي الجنة ، ولكن ادع الله أن لا أتکشف ، فدعا لها فكانت لا تتکشف ؛ وأخرجه الحاكم من مستدرکه ، وقال : صحیح علی شرط مسلم ، ولم یخرجاه . وقد ذکر الحافظ بن عساکر فی ترجمة عمرو بن جامع من تاریخه أن شاباً كان یتعبد فی المسجد ، فهوته امرأة فدعته إلى نفسها ، فیا زالت به حتی كان یدخل معها المنزل ، فذکر هذه الآية ﴿إن الذین اتقوا إذا مسهم طائف من الشیطان تذکروا فإذا هم مبصرون﴾ فخر مغشياً علیہ ، ثم أفاق فأعادها ، فمات ، فجاء عمر فعزى فیہ أباه ، وكان قد دفن لیلاً فذهب فصلی علی قبره بمن معه ، ثم ناداه عمر فقال : یا فتی ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فأجابہ الفتی من داخل القبر : یا عمر قد أعطانیها ربي عز وجل فی الجنة مرتین .

وقوله تعالی : ﴿وإخوانهم یدونهم﴾ أي وإخوان الشیاطین من الإنس کقوله ﴿إن المبذورین كانوا إخوان الشیاطین﴾ وهم أتباعهم والمستمعون لهم ، القابلون لأوامرهم یدونهم فی الغی أي تساعدهم الشیاطین علی المعاصی وتسهلها علیهم وتحسنها لهم . وقال ابن کثیر : المد الزیادة یعنی یزیدونهم فی الغی یعنی الجهل والسفه ﴿ثم لا یقصرون﴾ قیل معناه أن الشیاطین تمد الإنس لا تقصر فی أعمالهم بذلك ، كما قال علی بن أبی طلحة عن ابن عباس فی قوله ﴿وإخوانهم یدونهم فی الغی ثم لا یقصرون﴾ الآية ، قال : لا الإنس یقصرون عما یعملون ، ولا الشیاطین تمسک عنهم ، وقیل معناه كما رواه العوفي عن ابن عباس فی قوله ﴿یدونهم فی الغی ثم لا یقصرون﴾ قال : هم الجن یوحون إلى أولیائهم من الإنس ثم لا یقصرون ، یقول لا یسامون ، وكذا قال السدي وغیره أن یعنی الشیاطین یدون أولیاءهم من الإنس ولا تسام من إمدادهم فی الشر ، لأن ذلك طبیعة لهم وسجية ﴿لا یقصرون﴾ لا نفتر فیہ ولا تبطل عنه ، كما قال تعالی : ﴿ألم تر أننا أرسلنا الشیاطین علی الکافرین تؤزهم أزاً﴾ قال ابن عباس وغیره : ترعجهم إلى المعاصی إزعاجاً .

وَإِذَآ لَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

### لِقَوْرِ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٢﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ يقول : لولا تلقيتها . وقال مرة أخرى : لولا أخذتها فأنشأها ، وقال ابن جرير عن عبد الله بن كثير عن مجاهد في قوله ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ قال : لولا اقتضيتها ، قالوا : نخرجها عن نفسك ، وكذا قال قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير . وقال العوفي عن ابن عباس ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ يقول : تلقيتها من الله تعالى . وقال الضحاك ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ يقول : لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء ، ومعنى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ﴾ أي معجزة وخارق ، كقوله تعالى : ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ هُمْ خَاضِعِينَ﴾ يقولون للرسول ﷺ : ألا نجهد نفسك في طلب الآيات من الله حتى تراها ونؤمن بها ، قال الله تعالى له : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ أي أنا لا أتقدم إليه تعالى في شيء ، وإنما أتبع ما أمرني به فأمثل ما يوحيه إلي ، فإن بعثت آية قبلتها وإن منعها لم أسأله ابتداء إياها إلا أن يأذن لي في ذلك ، فإنه حكيم عليم ، ثم أرشدهم إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبيّنات ، فقال ﴿هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

### وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣١﴾

لما ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة ، أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظاماً له واحتراماً ، لا كما كان يعتمد كفار قريش المشركون في قولهم ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ الآية ، ولكن يتأكد ذلك من الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة ، كما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ﴿وَإِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامَ لِيُؤْتِمَّ بِهِ فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا ، وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا ، وَكَذَا رَوَاهُ أَهْلُ السَّنَنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً ، وَصَحَّحَهُ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ أَيْضاً ، وَلَمْ يَخْرُجْهُ فِي كِتَابِهِ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَسْلَمٍ الْمَجْرِي عَنْ أَبِي عِيَّاضٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ وَالآيَةُ الْآخَرَى ، أَمَرُوا بِالْإِنْصَاتِ .

قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن المسيب بن رافع قال ابن مسعود : كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة ، فجاء القرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ . وقال أيضاً : حدثنا أبو كريب ، حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن بشير بن جابر قال : صلى ابن مسعود فسمع ناساً يقرءون مع الإمام ، فلما انصرف قال : أما أن لكم أن تفهموا ، أما أن لكم أن تعقلوا ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ كما أمركم الله ، قال : وحدثني أبو السائب ، حدثنا حفص عن أشعث عن الزهري قال : نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه ، فنزلت ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ . وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن من حديث الزهري عن أبي أكتمة الليثي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال «هل قرأ أحد منكم معي أنفا؟» قال رجل : نعم يا رسول الله ، قال «إني أقول مالي أنازع القرآن» قال : فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جهر فيه بالقراءة من الصلاة حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وصححه أبو حاتم الرازي . وقال عبد الله بن المبارك عن يونس عن الزهري : قال لا يقرأ من وراء الإمام فيما يجهر به الإمام ، تكفيهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته ، ولكنهم يقرءون فيها لا يجهر به سرا في أنفسهم ، ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرا ولا علانية ، فإن الله تعالى قال : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قلت : هذا مذهب طائفة من العلماء أن المأموم لا يجب عليه الصلاة الجهرية قراءة فيما جهر فيه الإمام لا الفاتحة ولا غيرها ، وهو أحد قولي الشافعية ، وهو القديم كمذهب مالك ورواية عن أحمد بن حنبل ، لما ذكرناه من الأدلة المتقدمة ، وقال في الجديد : يقرأ الفاتحة فقط في سكتات الإمام ، وهو قول طائفة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل : لا يجب على المأموم قراءة أصلا في السرية ولا الجهرية بما ورد في الحديث «من كان له إمام فقراءته قراءة له» وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر مرفوعاً ، وهو في

موطأ مالك عن وهب بن كيسان عن جابر موقوفاً ، وهذا أصح وهذه المسألة مبسطة في غير هذا الموضع ، وقد أورد لها الإمام أبو عبد الله البخاري مصنفًا على حدة ، واختار وجوب القراءة خلف الإمام في السرية والجهرية أيضاً ، والله أعلم .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قوله ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ يعني في الصلاة المفروضة ، وكذا روي عن عبد الله بن المغفل . وقال ابن جرير : حدثنا حميد بن مسعدة ، حدثنا بشر بن الفضل ، حدثنا الجريري عن طلحة بن عبيد الله بن كزيب قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان ، والفاصل يقص ، فقلت : ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود ؟ قال : فنظرا إلي ثم أقبلتا على حديثها ، قال : فأعدت نظرا إلي وأقبلتا على حديثها ، قال : فأعدت الثالثة قال فنظرا إلي فقالا : إنما ذلك في الصلاة ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ وكذا قال سفيان الثوري عن أبي هشام إسماعيل بن كثير عن مجاهد في قوله ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ قال : في الصلاة ، وكذا رواه غير واحد عن مجاهد . وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد قال : لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم ، وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وإبراهيم النخعي وقتادة والشعبي والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أن المراد بذلك في الصلاة .

وقال شعبة عن منصور : سمعت إبراهيم بن أبي حمزة يحدث أنه سمع مجاهداً يقول في هذه الآية ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ قال : في الصلاة والخطبة يوم الجمعة ، وكذا روى ابن جريج عن عطاء مثله ، وقال هشيم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال : في الصلاة وعند الذكر . وقال ابن المبارك عن بقية : سمعت ثابت بن عجلان يقول : سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ قال : الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيها يجهر به الإمام من الصلاة ، وهذا اختيار ابن جرير أن المراد من ذلك الإنصات في الصلاة وفي الخطبة ، كما جاء في الأحاديث من الأمر بالإنصات خلف الإمام وحال الخطبة . وقال عبد الرزاق عن الثوري عن ليث عن مجاهد أنه كره إذا مر الإمام بأية خوف أو بأية رحمة أن يقول أحد من خلفه شيئاً ، قال : السكوت . وقال مبارك بن فضالة عن الحسن : إذا جلست إلى القرآن فأنصت له . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا عباد بن مسرة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة» تفرد به الإمام أحمد رحمه الله تعالى .

﴿أَذْكُرُّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢٥٩) إِنَّ الَّذِينَ

عند ربك لا يستكبرون عن عبادتي ويسبحونك وله يسجدون ﴿٢٥٩﴾

يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيراً ، كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، وهذه الآية مكية . وقال ههنا : بالغدو ، وهو أول النهار ، والأصال جمع أصيل كما أن الإيمان جمع يمين ، وأما قوله ﴿تضرعاً وخيفة﴾ أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهراً ، ولهذا قال ﴿ودون الجهر من القول﴾ وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداءً و جهراً بليغاً ، ولهذا لما سألو رسول الله ﷺ فقالوا : أقرب ربنا فتناجيه ، أم بعيد فتناديه ؟ فأنزل الله عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار ، فقال لهم النبي ﷺ «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إن الذي تدعون سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى : ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ فإن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه وسبوا من أنزله وسبوا من جاء به ، فأمره الله تعالى أن لا يجهر به لئلا ينال منه المشركون ولا يخافت به عن أصحابه فلا يسمعونهم ، وليتخذ سبيلاً بين الجهر والإسرار ، وكذا قال في هذه الآية الكريمة ﴿ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين﴾ وقد زعم ابن جرير وقبلة عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بها أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة ، وهذا بعيد مناف للإنصات المأمور به ، ثم إن المراد بذلك في الصلاة كما تقدم أو في الصلاة والخطبة ، ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل

من الذكر باللسان ، سواء كان سراً أو جهراً ، فهذا الذي قاله لم يتابعا عليه ، بل المراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والأصالة ، لثلاث يكونوا من الغافلين ، ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ الآية ، وإنما ذكرهم بهذا ليقنطد بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ، ولهذا شرع لنا السجود ههنا لما ذكر سجدتهم لله عز وجل ، كما جاء في الحديث «وَأَلَّا تَصْفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا يَتَمَوَّنُ الصَّفُوفَ الْأُولَى وَالْأُولَى وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ» وهذه أول سجدة في القرآن مما يشرع لتأليها ومستمعها السجود بالإجماع ، وقد ورد في حديث رواه ابن ماجة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه عددها في سجدات القرآن .



وهي مدنية . آياتها سبعون وست آيات . كلماتها ألف كلمة وستمائة كلمة وإحدى وثلاثون كلمة . حروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفاً والله أعلم .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

قال البخاري : قال ابن عباس : الأنفال المغنم ، حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الأنفال قال : نزلت في بدر . أما ما علقه عن ابن عباس فكذلك رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال : الأنفال الغنائم ، كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لأحد منها شيء ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد أنها المغنم ، وقال الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال : الأنفال الغنائم ، قال فيها لبيد :

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفَلٌ وَإِذَنْ اللَّهُ رِيثِي وَالْعَجَلُ

وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد قال : سمعت رجلاً يسأل ابن عباس ، عن الأنفال فقال ابن عباس رضي الله عنهما : الفرس من النفل والسلب من النفل . ثم عاد لمسأله فقال ابن عباس ذلك أيضاً ثم قال الرجل : الأنفال التي قال الله في كتابه ما هي ؟ قال القاسم فلم يزل يسأله حتى كاد يخرجه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد قال : قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا سئل عن شيء قال لا أمرك ولا أنهارك ثم قال ابن عباس والله ما بعث الله نبيه ﷺ إلا زاجراً أمراً محلاً محرماً . قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل فسأله عن الأنفال فقال ابن عباس : كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه ، فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ، ثم عاد عليه حتى أغضبه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب حتى سألت الدماء على عقبه أو على رجله ، فقال الرجل أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك . وهذا إسناده صحيح إلى ابن عباس ، أنه فسر النفل بما ينقله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل المغنم وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل ، والله أعلم .

وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد : إنهم سألوا رسول الله ﷺ عن الخمس بعد الأربعة من الأحماس ، فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ وقال ابن مسعود ومسروق : لا نفل يوم الزحف ، وإنما النفل قبل التقاء الصفوف ، رواه ابن أبي حاتم عنها ، وقال ابن المبارك وغير واحد عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ قال يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال ، من دابة أو عبد أو أمة أو متاع فهو نفل للنبي